المنطق الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مَن تنزّل فنظر في الظلمات . يا مَن ألقى الروح على سجين اللذات
يا معتمدي وسرّ حريتي . يا ملجأي وناصري في محنتي
أسألك بالاسم الذي غلبت به العَدَم . وأخرجت بن المؤمنين من غياهب الظُّلَم
أن لا تحرمني فضل حكمتك . وإن ضعفت عن إقامة أمرك
فوعزّتك لستُ بمُستغنٍ عنك طرفة عين . ومن دون تزكيتك سيعذّبني الرَّيْن
اغسل نفسي بنهر الحياة الأبدية . وطهّر قلبي من الأدناس الدنيوية
لولاك لما تحرّك لي قَلم بل ولا خاطر . لولاك لما نفعني سمع ولا ناظر.
أعطيتني قبل السؤال . وأنت أكرم بعد السؤال
وهل سؤالي إلا صدى عطائك . وهل شكري إلا أثر إحسانك
أتبرأ إليك من عملي القبيح . وأرجو منك التوفيق والتصحيح
قلتَ للعقل "أدبر" فنظر إلى المستحيل . ولولا "أقبِل" لصرنا إلى مآل وبيل
جعلتنا في مقام الإمكان . فصرنا بين الطاعة والعصيان
فإن أطعناك فبك التوفيق . وإن فالجهل بنا حقيق
أشرق عليّ يا شمس الأزل . حتى أستقيم ولا أضِلّ.
أنا عود مُلقى في نار كلمتك . دخان توبتي متصاعد لحضرتك.
يا رب طس ويس والحواميم . اجعلني لك ولي حميم
لا أتنفّس إلا بك لك دائماً . واجعل قلبي بحبّك هائماً
فإني أقول كما علّمتني . الله الله وحده ربي.
أعوذ بك من تسويد وجهي بنفسي . ومن وضع الأحجار في وادي قلبي
يا مَن لولاه لهَلك مُحَمَّد . يا مَن بدونه لا يعرفه أحمد
احفظني وذريتي ومن اتبعني بإيمان . وارزقنا معارف القرءان ودقائق العرفان
وجمّل معايشنا بالشريعة . ورَقٍّ أذواقنا بالطريقة
واجعل عاقبتنا السلامة في دار السلام . وبيُسر أوصلنا يا برّ يا رحيم يا سلام
فجّر منّي أنهار الأنوار . واحفظني من شرّ وظلم الأغيار
وانشر ما آتيتني في العالمين . فأنت ربٍّ خير الوارثين

...-...-...-...

سبأ لم تعتدي على سليمان، فلماذا بدأهم سليمان بقوله {فلنأتينهم بجنود}، فإنهم لم يرسلوا جنوداً لسليمان، بل ولما راسلهم أرسلوا له بمال وهدية وهذا دليل سلام، إذن لا هم بدأوا سليمان بالقتال أولاً ولا آخراً، فكيف لا يكون سليمان معتدياً عليهم بقوله {فلنأتينّهم بجنود}؟ الجواب في أوّل أربع كلمات قالها الهدهد لسليمان، {إني وجدت امرأة تملكهم}. سبأ مَلكية، والأمر فيها أمر شخص واحد كما قال ملأ الملكة لها {الأمر إليكِ} وقالت هي {ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون} وقالت أيضاً {أفتوني في أمري}. حين يكون الأمر لشخص واحد فقط، فهذه مَلكية. ويمثّل الملكة العرش، {ولها عرش عظيم} ولذلك تصرّف سليمان بعد ذلك بالعرش بدون حتى أخذ إذن الملكة بالرغم من أنه من ممتلكاتها والإتيان به بدون إذنها يُعتَبر في العادة سرقة فقول سليمان {أيكم يأتيني بعرشها} في صورته الأولية يبدو وكأنه عملية سطو وسرقة بحتة، لكن لأن صاحبة العرش والعرش وكل ما لديها وجنودها الذين قالوا {نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد} هم مجموعة من المغتصبين المستبدّين أصلاً، فلا حق لهم بتملّك شيء أصلاً، ولذلك لم يحتاج سليمان إلى إذنها للإتيان بعرشها. من هنا نعلم أن البدء بالحرب على الملوك، وإن كانوا مسالمين وإن كانوا يريدون السلام، هو عين الشريعة الإلهية والطريقة السلمانية. ومن هنا قال علي بن أبي طالب في فتنة بني أمية الملكية حين يأتي الفرج على يد المحرر {لا يعطيهم إلا السيف ولا يُحلسهم إلا الخوف} لأنهم لا يستحقّون إلا هذا أصلاً، بحكم كونهم إنما نالوا الملك على الناس وملكوا رقاب الناس {امرأة تملكهم} عبر السيف والخوف، فالملوك لا يعطون العامّة إلا السيف ولا يحلسونهم إلا الخوف، فكان الجزاء الوفاق والعدل الصريح هو أن يأتي صاحب العدل والقسط كسليمان في القرءان وكالمهدي في الأثر وفي المقابل {لا يعطيهم إلا السيف ولا يحلسهم إلا الخوف}، وهو قول سليمان {لنأتينّهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون}. ومن هنا تفهم قول الله في أهل الكتاب والجزية {حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}، فالمقصود هنا كالمقصود هناك، يعني الذين ملكوا الناس بالقهر وجعلوهم يعطونهم الجزية أي الضرائب المالية "عن يد وهم صاغرون" أيضاً وهذا حال العامّة في تلك الأيام كما هو اليوم في كثير من البلدان، حيث العامّة تعطي الجزية للدولة القاهرة والعصابة الحاكمة "عن يد وهم صاغرون". وكذلك في حال كانت أجزاء من العامّة يساعدون الدولة القاهرة على قهرها ويعينونها على قهر الفرق الخارجة الرافضة للخضوع، فإن هؤلاء أيضاً يستحقون العقوبة بمثل ما ساعدوا عليه "وظاهروا على إخراجكم" فجعل مَن ظاهر على الإخراج في حكم المخرج، كذلك مَن ساعد على القهر في حكم القاهر، فإن فعلوا ذلك من باب العقيدة الدينية كما تفعله جهلة العوام في ممالك الدجالين كان استحقاقهم للعقوبة أكبر وجرمهم أفحش.

لاحظ أيضاً أن سليمان لم يكثّر الكلام مع ملكة سبأ وجماعتها، لخّص رسالته في تسع كلمات، (لاحظ أن هذه الآية جاءت في سورة النمل وفي أول سورة النمل ذكر "في تسع آيات إلى فرعون" حين ذكر موسى. لابد من قراءة السورة كوحدة متكاملة.) والكلمات التسع هي " بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين". وبمجرّد ما وجدهم يحاولون تسكيته بالمال ردّ عليهم بشدّة "ارجع إلى قومك فلنأتينهم بجنود". كلمهم بلغة الجنود والقوّة والشدة لأن الملوك لا يفهمون إلا هذه اللغة أصلاً، لأنها لغتهم التي تفاهموا بها مع العامّة الذين ملكوهم بالجبر واستبدوا عليهم بالأمر.

{قبل أن يأتوني مسلمين} هنا الفرق بين الإسلام الظاهر والإسلام الباطن. الملكة جاءته مسلمة الظاهر، يعني إسلام السياسة، وهو الخروج الإرادي عن المُلك قبل إجبارهم على الخروج منها قهراً كما بنوه قهراً. لكن بعدما جاءته عمل سليمان بأمرين، أمر العرش وأمر اللجة، حتى يفتح لها باب الإسلام الباطن، إسلام العقل والفهم والدخول في الدين من القلب وعن علم. لذلك بعدما فرغ من الأمرين قالت الملكة {إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين}. فالإسلام الظاهر الإسلام لسليمان خوفاً من جنوده، والإسلام الباطن الإسلام مع سليمان إيماناً بحججه. لم يهددها سليمان بالجنود حتى تُسلم معه لرب العالمين لأنه "لا إكراه في الدين"، لكنه هددهم بالجنود ليسلموا له في أمر الملك الذي أخذوه بالقوة والشدّة وتملّكوا الناس به قهراً واستبدوا بالأمر من دونهم. فينقسم الأمر إذن إلى أمر الحكم وأمر الدين. أمر الحكم مَن أخذه قهراً جاز بل وجب سلبه إياه قهراً، وأمر الدين لا يجوز فيه القهر.

سليمان حجّتنا في تحرير الأرض من الملوك أجمعين والمستبدين. والبدء بذلك حتى ولو كانوا لنا من المسالمين والمداهنين. لا يجوز أن يبقى عرش على الأرض، وكل عرش على الأرض إهانة للعرش العظيم لرب السموات والأرض وإهانة لكرامة بني ءادم خلفاء الله في الأرض والذين الأرض مجعولة لهم على قدم المساواة بأصل الخلق وبقول الحق.

...

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين الذين هاجروا إلى الحبشة ثم هاجروا إلى المدينة بعد افتتاح خيبر {إن للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان: هاجرتم حين خرجتم إلى صاحب الحبشة ثم جئتم من عند صاحب الحبشة مهاجرين إليّ}.

أقول: حكم النبي بأن مَن هاجر إلى {صاحب الحبشة} وفي رواية إلى {أرض الحبشة} بأنه من المهاجرين وهجرته هجرة شرعية معتبرة فهو من مصاديق "المهاجرون" في القرءان.

لكن {صاحب الحبشة} ملك ومن أهل الصليب، و{أرض الحبشة} أرض لا يوجد فيها من المؤمنين بالقرءان إلا الذين هاجروا من أهل البيت والصحابة وهم بالعشرات. ثم إذا نظرنا في صاحب الحبشة أكثر، سنجده أوّلاً ملك يحكم مع عصابة من البطارقة والقساوسة يعني ملكية دينية على طريقة الدجالين تماماً في ذلك العصر ويأخذون الرشى باسم الهدية ونحو ذلك مما هو مشهور في مثل هذه الأنظمة، وبعد، لما جاء ابن العاص لردّ المسلمين إلى قريش قال النجاشي صاحب الحبشة {لا لعمر الله لا أردّهم عليهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم}، أقول: احفظ وصف النجاشي للمسلمين من أهل البيت والصحابة هنا بأنهم {لجؤوا إلى بلادي} فهم طلاب لجوء إذن، احفظ هذا جيداً فستحتاجه في هذا العصر. لكن محلّ الشاهد هو أن النجاشي لم يعطيهم اللجوء فقط لأنه يؤمن بحرية الدين، بل كان له شروط وكان على استعداد لردّهم إلى قريش بعدما سمع ابن العاص يقول له واصفاً المسلمين {إن فتية منّا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجؤوا إلى بلادك وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم فإنهم أعلى بهم عيناً فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك}. أقول: الاعتراض الوحيد إذن على المسلمين هو أنهم جاءوا بدين "مبتدع" (تأمل هذه اللغة الجاهلية، والتي صارت "إسلامية" بعد ذلك.) وأن المسلمين لا يستحقون المنع يعني الحماية، لماذا؟ لأن دينهم {مبتدع} وليس من دين الملك صاحب الصليب المسيحي، بالتالي الحماية عند ابن العاص والتي عرف أنها كذلك كأصل عند صاحب الحبشة هي حماية بحسب الديانة، فإن كنت تنتمي إلى دين الحاكم فأن في أمان وإلا فلا أمان لك، هذه أيضاً خاصية جاهلية وصليبية في ذلك العصر فاحفظها لأنها صارت "إسلامية" بعد ذلك وصار الكلام في حماية الناس لا يعتمد على مبدأ الإنسانية ولا مبدأ التدين بلا إكراه وجعل المجتمع وحمايته في أمر الظاهر والمعاش دون التدخل في الأديان والإيمان، بل كان عند ابن العاص الجاهلي وعند صاحب الحبشة الصليبي الحماية فرع الاتحاد في الديانة. ومن هنا عمل ابن العاص على إظهار المسلمين كمخالفين للنجاشي في العقيدة في المسيح حتى يؤلبه عليهم ويثير غضبه عليهم فيمنعهم حمايته فيردهم. بالتالي حتى {صاحب الحبشة} الذي الهجرة إليه هجرة شرعية يُعَدّ صاحبها من المهاجرين قرآناً وسنّة، لم يكن بتلك السعة في الحماية للحرية الدينية. ولذلك إذا قرأت ما جرى من حوار بعد استقدام النجاشي لجعفر عليه السلام ومَن معه ستجد نوعاً من محكمة التفتيش إن شئت، وبدأ الملك بالاعتراض على جعفر والمسلمين لأنهم لم يسجدوا له، فهو متأله إذن من هذا الوجه، ورفض المسلمون السجود له حتى تحيةً (وهذا ردّ على الذين يزعمون أن

السجود للتحية مشروع فإن النجاشي قال {ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم}). ثم سألهم النجاشي {ماذا تقولون في عيسى وما دينكم أنصارى أنتم} فقالوا {لا}. ثم بعد أن تبيّن للنجاشي أن ما قالوه حسب رأيه هو {من المشكاة التي خرج منها أمر موسى} تركهم وحماهم، بالتالي إنما حماهم لأنه رضي عن عقيدتهم الدينية حسب رأيه الشخصي، والذي خالفه فيه طبعاً بطارقته لكنه ملك مستبد على أية حال فكان استبداده هنا لصالح المسلمين. فما الذي جعل المسلمون يخرجون إليه؟ هذا وصف جعفر {أرادوا قتله} يعني قتل النبي، {وأرادوا على عبادة الأوثان ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا} بالتالي أرادوا حماية دينهم ودمائهم لأن أهل مكة يكرهون الناس على دينهم الوثني.

لماذا أقول كل هذا؟ لأني أريد تبيين أن النبي حكم بصحّة الهجرة لمن هاجر لحماية دينه حتى إن كانت الأرض التي هاجر إليها غالبيتها العظمى من الكافرين، وحتى إن كان نظامها السياسي يقوم على الملكية الدينية الكفرية، وحتى إن كانت حماية المسلمين فيها إنما هي لأنهم استطاعوا إقناع المستبد بحمايتهم وإظهار نوع من التوافق الديني بينهم وبينه بصدق طبعاً وليس بالكذب كما فعل جعفر الصدّيق مع النجاشي.

ماذا ينبني على ذلك اليوم؟ ينبني عليه أننا اليوم في هجرة ليست فقط مثل هجرة جعفر وأصحابه، بل نحن في هجرة أحسن من هجرتهم من وجوه، وأرض الدول الديمقراطية أعظم وأكرم وأحسن وأفضل من أرض الحبشة، لأن المسلم حين يهاجر إلى أمريكا أو كندا مثلاً، ويطلب اللجوء بناء على الاضطهاد الديني والسياسي (وديننا فيه سياسة فهما شيء واحد عندنا وإن كانا ليسا كذلك في مفهومهم) فإنهم لن يسألوه أن يسجد لملكهم إذ لا ملك أو إن كان ثمّة ملك فلا سجود له، ولن يسألوه أن يثبت لهم توافق عقيدته الدينية الغيبية مع عقيدتهم هم حتى إن كان أكثرهم من المسيحيين أو غير ذلك من الأديان والمذاهب، ولن يسألوه أكثر من إثبات أنه يتعرّض للاضطهاد بسبب دينه ورأيه السياسي بنسبة معتبرة وليس حتى بإطلاق. إذا كانت الهجرة إلى الحبشة عند النبي معتبرة، فالهجرة إلى الديمقراطية أولى بالاعتبار بسبعين مرّة. فيكفي أنه لن يسمع أحداً من المسلمين في الدول الديمقراطية ما قاله النجاشي لابن عاص وصاحبه حين قال ابن العاص له {إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول} فقال النجاشي {إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار}، فحمايته للمسلمين كانت لأنه رأى كما قال لهم بعدما سمعوا قولهم في عيسى {والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود}، بالتالي لو كانوا قالوا في عيسى بغير قوله لأخرجهم ولم يدعهم حسب قوله في أرضه {ساعة من نهار}. لاحظ الاستبداد واعتباره الأرض أرضه هو، حتى إنه لما خالف عقيدة قومه باعتقاد ما قاله المسلمون {تناخرت-وهو كلام مع غضب ونفور-بطارقته}

وقال {عظماء الحبشة "والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنّك"} فقال النجاشي رحمه الله حينها {والله لا أقول في عيسى عليه السلام غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناس فيّ حين ردّ عليّ ملكي فأطيع الناس في دين الله، معاذ الله من ذلك}، إذن هو يعتبر مُلكه الاستبدادي من عطاء الله له، وهذا فيه ما ترى من الجهل بأمر الله، لكن على أية حال "إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر"، فمن باب أولى أن ينصره برجل كالنجاشي وإن استبد وفعل ما فعل إلا أنه يقال أنه أسلم وآمن بالنبي ولا أدري ما حدث بعد ذلك معه.

في ما سبق ردّ على أمثال كلاب الوهابية الذين يروننا نهاجر إلى بريطانيا أو كندا أو أمريكا ونحوها فيقولون "تركتم بلاد التوحيد وذهبتم إلى بلاد الصليب" وما أشبه من عبارات كلها كذب ومغالطات. فلو كانت بلاد توحيد، لما فعلت ليس فقط مثل بل أسوأ مما فعلته قريش في جاهليتها وكفرة المستبدين في مشارق الأرض ومغاربها. بلاد التوحيد يُهاجِر الناس إليها بحثاً عن حرية دينهم وكلامهم وأمنهم. لا توجد دولة على وجه الأرض تستحق الهجرة منها مثل الدولة السعودية ثم بقية دول مستبدي العرب على إثرها في الترتيب بحسب مدى شبهها بها. من هاجر إلى بريطانيا اليوم مثل بل خير ممن هاجر إلى الحبشة بالأمس، أقصد من حيث خيرية دار الهجرة وليس خيرية الأشخاص المهاجرين فهذا عند الله و "أكرمكم عند الله أتقاكم". بل بريطانيا، ولا أقول كندا أو أمريكا، بل حتى بريطانيا التي لا يزال فيها ملك، هي خير وأحسن بألف مرّة من الحبشة يوم هاجر إليها جعفر وأصحابه، لما سبق أن بيّنته. بل وزيادة، بريطانيا اليوم دار إسلام ! أمريكا دار إسلام، وكندا دار إسلام، وكل الدول الديمقراطية اليوم دار إسلام. وهذا ليس رأيي لكنه رأي عمره أكثر من ألف سنة ولفقهاء تقليديين أيضاً. يقول الماوردي الفقيه الشافعي {إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار الإسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يُترجى من دخول غيره في الإسلام}. فحتى إذا افترضنا جدلاً أن الدول الديمقراطية هذه بلاد "كفر"، وليست كذلك لكن افترض أنها بلاد كفر، فإن الواقع المشهود في كل هذه الدول هو أن المسلم فيها يستطيع فيها إظهار الدين، بل يستطيع الدعوة إلى الدين وهو أمر لم يثبت أن جعفر وأصحابه فعلوه في الحبشة أو أنه كان لهم الحق في السعي في أسلمة الحبوش ولم يجادلوا لا الملك ولا القساوسة ولا أحداً كما نرى المسلمون اليوم يفعلون في الدول الديمقراطية، بل ويستطيع أن يترشح المسلم للمناصب السياسية الكبرى في البلد ويكفي أن في عمدة عاصمة بريطانية مسلم وعمدة أكثر من بلدة فيها مسلم، (بل يقال أن ملكهم من "أهل البيت" ! هذه إشاعة كاتب إثارات لكنها ظريفة) ورئيس أمريكا أمّه مسلمة وإن صدّقنا خصومه فهو نفسه مسلم، وكم من مسلم ومسلمة في المناصب السياسية في تلك الدول ويحلفون على القرءان

قسم المنصب، بل وتستطيع المسلمة في أمريكا-وهذا قرأته بعيني في لائحة التعليمات الرسمية-أن تأخذ صورة رخصة العمل مثلاً وهي واضعة خمارها من باب العمل بدينها، وكنت في ديترويت قبل أيام ورأيت المساجد بارزة والأذان يصدع في بعض مناطقها، وفي مشارق أمريكا ومغاربها يكتب المسلمون ويدعون الناس إلى الإسلام بل ويجادلون وينافحون ويقولون ما يشاؤون وكم يدخل بسبب هؤلاء وبغير سببهم من أهل تلك البلاد في الإسلام الإيماني- خلافاً للإسلام السياسي الذي هو موجود في كل البلدان الديمقراطية لأن خلاصة الإسلام السياسي وجوهر جواهره وقاعدة قواعده هي حرية الناس في الاختيار في كيفية التصرف في نفوسها وأموالها وأديانها والتشاور لذلك والعمل بما عليه الأكثرية، وقد طوّرت الدول الديمقراطية مبدأ الاختيار بنحو أكبر وأحسن مما كان في جميع العصور ومن ضمنها عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. إذن، كل الدول الديمقراطية اليوم هي دور إسلام، حرفياً وفقهياً، والبقاء في هذه الدول أفضل من الارتحال عنها كما قال الماوردي مثلاً. هذا كله على فرض أن تلك بلاد "كفار"، ويكفي هذا للأعمى ليبصر، ونترك تفصيل ما وراء ذلك لمقالة أخرى إن شاء الله.

مسألة أخرى: إذا كانت الدولة التي يستطيع كل المسلمين فيها {إظهار الدين} هي دار إسلام، ولو كان كل أفراد هذه الدولة ولو كانوا مليار إنسان كلهم من الكفرة عبدة الشياطين تصريحاً ولفظاً، فإنها بوجود مسلم واحد فقط يملك حرية إظهار الدين الإسلامي تصبح بسبب هذا المسلم الفرد المنفرد دار إسلام وبقاؤه فيها أفضل من ارتحاله عنها لعله يساهم في تحويل بعض هؤلاء إلى الإسلام الإيماني. حسناً. إذا كان هذا هو الحال وهو كذلك حتى فقهاً كما قال الماوردي من القدماء مثلاً، فالعكس أيضاً صحيح. يعني إذا وجدنا دولة لا يستطيع كل المسلمين فيها إظهار دينهم، بسبب قهر وإيذاء أهل الدولة لهم، فإن هذه الدولة تصبح دار كفر شرعاً. فالآن لننظر في "دول المسلمين" المزعومة، من المحيط إلى الخليج، كم واحدة من هذه الدول يستطيع فيها لا أقول غير المسلمين بل المسلمون فقط على اختلافهم في العقائد والشرائع إظهار دينهم والدعوة إليه والعمل به والسعي لتغيير المجتمع به بسلام وبالكلام؟ جزماً، ولا واحدة. قد تقول: لكن هذه نفس عقيدة أصحاب التكفير والهجرة الذين كفروا المجتمعات الإسلامية ثم استباحوا قتل الناس فيها. أقول: كلا وألف كلا، أصحاب التكفير والهجرة هؤلاء أنفسهم من الكفار المعتدين الذين تجب منهم الهجرة ! هؤلاء وهابية وسلفية مجرمين يعتبرون عدم قدرتهم على قهر الناس وجبرهم على مذهبهم هو الكفر، فهم تماماً مثل الدول التي يحاربونها، ولم يختلفوا عنهم في الجوهر في شيء. هذا أولاً. ثانياً، هؤلاء كفّروا المجتمعات، وأنا لا أرى إلا أن الدولة نفسها التي ليس فيها حرية دين وكلام ومبنية على مبدأ

العنف لا الاختيار هي دولة ظالمة والظلم كفر فهي كافرة بهذا المعنى. ثالثاً، أنا لا أستبيح مسّ شعرة من جسم مسلم وغير مسلم من المسالمين غير المحاربين، لكنّي أرى وجوب إبادة جميع دول الظلم والاستبداد على يد دول العدل والحرية، دولة تحارب دولة، كما فعل سليمان مع سبأ وكما فعل النبي مع قريش. فلسنا من الوهابية المجرمين في شيء ولا هم منّا في شيء، وعند أصحاب التكفير هؤلاء الحرية الدينية ذاتها كفر، ويرون قتل المرتد وإسكات المخالف وإجبار الناس على آرائهم الدينية ولست أرى شيئاً من ذلك بل كل هذا من أهم أسباب براءتي دنيا وآخرة من عمل من يقوم بذلك وبراءتي من نفوس مَن يعتقد ذلك.

الحاصل: الهجرة إلى الحبشة واعتبار النبي إياها هجرة شرعية، وإن كان النبي لم يسكن الحبشة ولا كانت صاحب الحبشة في نفسه ولا نظام حكمه ولا الغالبية العظمى من أهل أرضه بذاك المستوى العالي الذي نجده اليوم في باب الحرية الدينية والكرامة الإنسانية والمساواة السياسية. فإن هجرة المهاجرين اليوم من بلاد الاستبداد العربية إلى بلاد الحرية الغربية هي هجرة شرعية، إن صحّت النيّة وصلح القصد طبعاً. أي أن تكون هجرته لأمر دينه، وليس رغبة في تبديل الأرض من باب الأجواء والدنيا ،ولا رغبة في مال ولا زواج، أي أن يكون الهدف ديني سياسي لا دنيوي معاشي. فالهجرة باقية ما بقيت دولة في الأرض تقوم بعمل الكفار الجاهليين المستبدين الذين يقاتلون الناس لمنعهم من الحرية الدينية والكلامية والاختيارات السياسية. وهذا قول النبي "لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفّار". ونحن اليوم في زمن دجل بسبب فتنة الملكية المتأسلمة لفظاً، وكما قال النبي في الدجال أن ناره جنّة وجنّته نار، كذلك الحال اليوم فإن الناس تنظر إلى "دول المسلمين" أي العربية فترى ظاهرها جنّة بحسب الألفاظ من باب تسمّيها باسم الإسلام وأن "دين الدولة الرسمي هو الإسلام" وشهادة التوحيد على الأعلام ونحو ذلك لكن حقيقتها نار وعذاب واستبداد واستعباد وتحريف للدين وتعبيد الناس لفرعونهم اللعين، بينما تنظر إلى دول الديمقراطية فتنظر إلى الألفاظ فتقول "ديمقراطية لفظة أعجمية يونانية" و "أكثر الناس هناك لا يؤمنون بالإسلام والقرءان" و نحو ذلك من الاعتبارات فيحكمون سطحياً فيقولون "هذه نار"، لكن الحقيقة أنها جنّة يستطيع المسلم فيها أن يُظهر ويعيش الإسلام إيماناً وظاهراً أكثر مما يستطيع أن يفعله في بلاد "راية التوحيد" بزعمهم—أو نعم التوحيد بالاعتقاد بطاغيتهم وحده لا شريك له الذين يقول ليل نهار لمن لا يخضع له "لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين" أو "ذروني أقتل موسى" أو "ءامنت له قبل أن ءاذن لكم..لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف" لأنهم من " المفسدين في الأرض" بزعمه. اليوم، الدول الديمقراطية هي دور الإسلام، والدول غير الديمقراطية هي دور الكفر. وإنما أستعمل لفظة الديمقراطية لثلاثة أسباب: الأول لأن

الاعتراف بالفضل لأهله واجب، الثاني لأنني أريد التنبيه على أن "الشورى" لما كفر بها العرب استبدلهم الله بالعجم فأستعمل اللفظ الأعجمي للشورى تذكيراً بصدق كلمة الله ولعل العرب يتوبون قبل حلول النقمة والهلكة عليهم فأنا نذيرهم بلسان النذير الأول "ويل للعرب من شرّ قد اقترب"، الثالث لأنه لا مشاحة في الاصطلاح كما هو معلوم عند العلماء والفقهاء وتعريب اللفظ الذي له أصل أعجمي أمر موجود حتى في القرءان "استبرق" وغيرها كثير ألفاظ أصلها غير عربي كما يقول أهل اللغة. وسبب رابع: أريد ازعاج بعض الناس !

...

شعرت بقرب وفاة والدها ثم الطبيب الذي تعمل معه فسألتني عن ذلك فقلت لها: أولاً الله يرحم والدك ويغفر له ويرفع قدره في الصالحين. والله يرحم الطبيب أيضاً. فعظم الله أجرك وصبركم على مصيبتكم وكلنا في هذا الطريق سائرون "إنا لله وإنا إليه راجعون".

ثم بالنسبة للموت فنعم له شعور حقيقي يمكن تمييزه وقد حصل لي هذا مع أخي. والله يكشف غيب الموت لمن يشاء، فداومي على ذكر الله ودراسة القرءان حتى يبقى قلبك بإذن الله حي يشعر بالغيب كما يحس الجسم بالطبيعة.

...

سألني عن مجالسي التي توقفت عنها وهل سأعقد مجالس قرآنية في رمضان المقبل هذا فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. مرحباً أبو فلان الله يسلمك ويسعدك. دعواتك وإن شاء الله تتيسّر الأمور. أهمّ شيء عندي قراءة كتبي، وإلا فمجالسي مجرد عيّنات من الكتب وأنا كاتب أكثر منّي متحدّث بإذن الله. لكن إن شاء الله لدي نيّة عقد مجالس رمضانية.

...

قالت عائشة: يعطيك العافية سلطان قال بعضهم: قال لنبينا محمد { أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ } ظل العصمة قبل أن أرسلك الى الخلق، ولو شاء لجعله ساكناً أى: جعلك مهملاً ولم يفعل بل جعل الشمس التى طلعت من صدرك دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا هذا خطاب من أسقط عنه الرسوم، والوسائط. مالمقصود بالرسوم والوسائط؟

قلت: الله يعافيك عايشة ويشملك بعنايته. هذا التفسير مضطرب، هذا أولاً. لأنه يعتبر الظل هو ظل العصمة، وعلى هذا يجب عليه اعتبار "قبضناه إلينا قبضاً يسيرا" أيضاً متعلقاً بالعصمة لأنه متعلق بالظل في الآية. فيكون المعنى على ذلك: الله مد ظل العصمة على النبي قبل الرسالة وقبض عنه ظل العصمة بعد الرسالة ! وهذا كما ترين في الضعف. اللهم إلا أن نجد له تخريجاً فنقول: نعم مد له ظل العصمة حين لم يعقل أمر الله قبل الرسالة فكان كالطفل الذي

يرعاه مربيه ويختار بالنيابة عنه، ثم لما كبر بالرسالة قبض عنه العصمة "قبضاً يسيرا" وليس قبضاً كلياً حتى يكون مكلفاً يتصرف بعقله واختياره ويصح له الثواب على المجاهدة والتوبة. فهذا وجه حسن، لكنه يتضمن تغيّر حالة عصمة النبي قبل وبعد الرسالة وهذا لا يقول به عادة أصحاب عقيدة العصمة عموماً.

...

سألت عن ملاحظتها تكرر أحداث ورؤية أشخاص في نفس الوقت من كل سنة وهل هي صدفة أم ماذا، فقلت: بالنسبة لتكرر الأحداث الذي ذكرتيه؛ فخطرت في بالي آية سنت الله "ولن تجد لسنت الله تبديلا". وخطر في بالي أيضاً أنه ممكن ربك يريد تنبيهك أنه يقدّر لك الأمور حتى يثق قلبك بعنايته ويزداد توكلك عليه، فإن التوكل من أعظم عبادات القلب وعلامة المؤمنين الصادقين.

فصدّقت ذلك وقالت أنها مقصّرة في التوكل "هذه الأيام". فالحمد لله.

...

نقل سليمان صاحبة سبأ من مذهب الحس إلى مذهب النفس بالحجج التجريبية والكلامية، ونقلها من منهج الاستبداد إلى منهج الإسلام بالقوّة الجندية. "لكل مقام مقال".

...

إن الله عصم الإسلام من أن يظهر فيه الباطل صريحاً، فلابد من أن تجد كل مَن يحرّف الدين يذكر حقيقة الأمر ثم يحرّفه بعد ذلك، إما بأن لا يذكر أمراً مهماً وإما بأن يضيف من عنده شيئاً وإما بأن يذكره في سياق يشوهه ونحو ذلك من أساليب التحريف.

من أبرز أمثلة ذلك مسألة طاعة ولي الأمر. لنأخذ مثال حديث مشهور، صحيح أخرجه البخاري ومسلم، ويقرّ به حتى أعتى عبيد الطواغيت كالوهابية ويذكرونه في كتب سحرهم أعين الناس واسترهابهم ليعبدوا فرعونهم السعودي.

{عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سريّةً فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. فغضب فقال "أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟" قالوا "بلى". قال "فاجمعوا لي حطباً". فجمعوا فقال "أوقدوا ناراً". فأوقدوها فقال "ادخلوها"، فَهَمُّوا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون "فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار" فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال "لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف".}

أقول: لننظر في هذا الحديث من ثلاث زوايا إن شاء الله. الزاوية المشهورة السطحية، الزاوية التأملية التحقيقية، الزاوية الافتراضية الوعظية.

١-الزاوية المشهورة السطحية هي قول حتى عبيد الملوك عن هذا الحديث أنه يقيّد سلطة ولي الأمر بأن يكون "في معروف" أو "في غير معصية الله". وهكذا عنون البخاري أيضاً الحديث "باب السمع والطاعة للإمام ما لم يكن معصية"، وعنون له مسلم "باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية". الآن، إلى هذا الحدّ تستطيع أن ترى عصمة الله للإسلام وللنبي، بأن أظهر على لسان الكل عدم إمكانية الجمع بين الإسلام في شقّه السياسي فضلاً عن شقّه الروحاني، عدم إمكانية الجمع بينه وبين الطغيان والسلطة المطلقة لأي إنسان، بل ولا النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فإنه ورد في بيعة النساء "ولا يعصينك في معروف" فقيّد القرءان طاعة النبي بالمعروف كما قيّد النبي طاعة الأمراء والعمّال في هذا الحديث بالمعروف. فالقدر الذي يستطيع الكل الاتفاق عليه ولا يمكنهم مخالفته هو أن الإسلام لا يجتمع مع السلطة المطلقة لأي إنسان، لا نبي ولا أمير عيّنه نبي ولا ما دون ذلك من أنواع السلطات السياسية والعلمية. فالحمد لله. فإذا وجدت دولة تقوم على السلطة المطلقة لإنسان، فهذه الدولة غير إسلامية ولا مَن رضي بها من المسلمين من هذا الوجه، ودعاتها دعاة نار. هنا تأتي المشكلة.

تبدأ المشكلة في كيفية تحريف هذا المبدأ العظيم على يد دعاة الطغيان، وطريق ذلك هو بالاعتراف بالمبدأ نظرياً مع تعطيله عملياً ووضع عراقيل حوله وعدم الأخذ باللوازم الضرورية لإقامته وتفعيله من قبيل "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" وهو أيضاً مبدأ يقرّ به الفقهاء عموماً كما أن المشي نحو الماء أو جلب الماء لم ينصّ عليه القرءان لكنه نصّ على الغسل والطهارة فكان ما لا يتم الواجب إلا به واجباً ولو قال إنسان "ليس لدي الآن تحت يدي حيث أنا ماء، وحيث أنه لا يوجد أمر صريح بجلب الماء فأنا غير مكلّف بجلبه بالتالي يسقط عنّي التكليف بالغسل والطهارة بالماء، ولو كان الماء على بُعد خطوتين من موضعي هذا"، لا يقول بهذا أحد من الفقهاء ولا حتى العوام عادةً.

فيبقى الآن سؤال: بما أننا عرفنا أن الطاعة في المعروف، فمَن الذي سيحدد المعروف؟ هنا سقطت الأمّة عموماً في مهاوي الطغيان بعد رفع الله ورسوله لها منه. لأنهم جعلوا تحديد المعروف إلى الحاكم نفسه أو إلى فقهاء يختارهم الحاكم أو إلى مذاهب يختار من بينها الحاكم أو جعلوا الخضوع للحاكم المتغلّب جائزاً بل واجباً والذي يهدد بالقتل والسجن والتعذيب كل مَن يعلن العصيان عليه لأنه أمر بمعصية. فعاد مبدأ تقييد سلطة الحاكم إلى

إطلاق لسلطة الحاكم، فيتم الاعتراف به نظرياً وهو حجّة عليهم يوم القيامة وعند عقلاء الأحرار من المؤمنين وغيرهم، ويتم نسفه واقعياً كما هو حاصل.

٢-الزاوية التأملية التحقيقية: لنقرأ بإذن الله الحديث من البداية بدون كدر أهل التحريف والتعطيل.

{قال علي بن أبي طالب}: الرواية عن علي بن أبي طالب، وهو نفسه صار أميراً للناس وهو يروي حديثاً في تقييد سلطة الأمراء، وهذا بحد ذاته من علامات العدالة والإنصاف فإننا لم نعهد الحكام عموماً في التاريخ إلا وهم يروون وينشرون الأفكار والتصورات التي تناسب توسيع سلطتهم وإطلاقها لا تضييق سلطتهم وتقييدها.

{بعث النبي صلى الله عليه وسلم سريّة فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه}: هذه الصورة لا توجد في الأمّة اليوم ولا عبر التاريخ كلّه اللهم إلا في عهد النبي نفسه. فالباعث والمختار للأمير هو النبي، واختار الأمير علانية وعرف الناس أنه أمير النبي، فهذا أمير تم تنصيبه من قبل النبي ولم يأتي بالعنف والقهر والتغلب على الناس بل جاء طوعاً وبأمر النبي الذي أصل إمارته على الناس باختيار الناس الذين بايعوه في العقبة الأولى والثانية وجاءوا إليه في مكّة اختياراً له عبر ممثّلين أهل يثرب وليس كل أهل يثرب اختار النبي بل أكثرهم وبقي الكثير ممن لم يرغب بذلك وهم الذين صاروا يُعرَفون لاحقاً بالمنافقين وغيرهم، لكن على أية حال أصل سلطة النبي اختياري لا قهري، وهذا النبي المختار من أهل يثرب الأنصار اختار رجلاً من الأنصار وهذه صفة ثانية لا توجد الآن ولا من بعد عهد النبي وهي أن الأمير المختار هو مسلم صحابي من أنصار النبي خلافاً للأشكال التي صارت تتأمّر بعد ذلك على الأمّة، والصفة الثالثة هي أن القوم الذين تأمّر عليهم وهم أهل السرية هم أيضاً من المسلمين من أصحاب النبي. إذن، لدينا نبي مختار بحرية، يؤمّر علناً صحابي أنصاري، على سرية من الصحابة المؤمنين. نور على نور على نور، ولا يحلم بمثل هذه الصورة الناس الآن. ومع كل هذه الأنوار، فتأمل ما حدث. ثم قال علي أن النبي {أمرهم أن يطيعوه}، وهذا أمر مباشر من النبي أخذه الصحابة عنه بغير واسطة ولا نقل ولا تأويل ولا تفسير، بل من النبي إليهم، وفيه نصّ على طاعة هذا الأمير بعينه وباسمه وبشخصه فليس بعد هذا تعيين بيقين، ثم لم يحدد النبي لهم {يطيعوه} في ماذا بالضبط ويعصوه في ماذا وليكن هذا الأمر ببالك أثناء قراءة الحديث وما يترتب عليه في الواقع.

{فغضب} إشارة إلى مصدر أمره، مصدر أمره لم يكن عقله ومصلحة الناس ونحو ذلك، بل مجرّد اتباع لنزوة نفسانية وأمر شخصي يخصه.

{فقال "أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني" قالوا "بلى"}: هنا نجد أنه حتى الصحابي المؤمن الذي اختاره النبي بنفسه وأمّره يمكن أن يصبح من الخاضعين لغضبهم المحرّفين لمقاصد النبي في أمره ويريد استغلال الدين ونصّ النبي لأغراضه الشخصية القبيحة. فبدلاً من أن يرى غضبه فيعتزل حتى يهدأ، أو يقوم ويتوضأ ويصلّي مثلاً، أو يذكر الله ويستهدي به. كلا، هذا الأمير الصحابي الأنصاري قرر أن يسيء استعمال سلطة النبي وكلامه لكي يلبّي غرض جنونه إذ الغضب شعبة من الجنون كما يقال وجمرة من جهنم أيضاً. فإن كان هذا يقع حتى في مثل هذه الصورة أي نبي يختار صحابي، فلأن تتوقع حدوث مثل ذلك ممن لم يختاره النبي ومَن ليس فقط ليس صحابياً بل إسلامه نفسه مشكوك من باب أولى وسبعين أولى. ثم إذا كان هذا الصحابي يحرّف أمر النبي ومقصده من أجل أنه {غضب}، فليس غريباً بعد ذلك توقع تحريفات الدين وسوء استغلال الإمارة من أجل أمور أوسع من مجرّد الغضب الذي يشتعل وينطفئ في دقائق، كأن يكون شهوة الدنيا وحب التسلط المتمكّن في النفس الأمارة بالسوء ومقاصد العائلة التي تريد استعباد الأمّة ونحو ذلك من أمور أشدّ وأعمق وأدوم من الغضب الطارئ، فإذا كان الغضب الطارئ يفعل بالصحابي الأنصار الذي اختاره النبي ما تراه في الحديث فلأن يحدث ما هو أسوأ من ذلك ممن هو أدنى من ذلك الصحابي أولى وأقرب وأكثر.

{قال "فاجمعوا لي حطباً" فجمعوا}: جمع الحطب لا إشكال فيه، فجمعوا. وإن كان لابد من التنبّه إلى كيفية تدرّج أمراء السوء والظلم والتحريف في تحقيق أغراضهم الخبيثة، "لا تتبعوا خطوات الشيطان". فهذا الأمير الأنصاري لم يخبرهم من أول يوم بحقيقة رؤيته ورأيه وغرضه النهائي وإلا لعلهم لا يطيعونه في أول خطوة من خطوات مشروعه الخبيث. مما يدلّ أن هذا الصحابي الأمير لم يفقد عقله حين غضب، بل غضبه جعل عقله شيطانياً يمكر بالأمّة التي ائتمنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها. وهذا يدلّك على أن دعاة الطاغية الذين إما جهلاً وإما غفلةً لا ينظرون إلى عواقب مقاصد أوامر الطاغية، بل يريدون من الأمّة التركيز على الأمر الحالي ويأخذونه بحسب صورته المجردّة وليس في سياق الخطّة العامّة الناشئة من نفسية وعقلية الأمير المجنون أو الدنيوي أو المريض يرتكبون خطئاً كبيراً ولم يعتبروا بهذه القصّة المهمة الخطيرة. نعم، في هذا الحدث الخطوة الأولى كانت جعل الناس تقرّ بسلطة الأمير الشرعية النبوية {أليس أمركم النبي أن تطيعوني} وهذا ما يركّز عليه دعاة الطاغين ليل نهار، مع فروق جوهرية طبعاً مثل أن النبي فعلاً أمر هؤلاء أن يطيعوا هذا الأنصاري، لكن النبي لم يأمر بطاعة المتغلّب أيا كان كما افتروا عليه لاحقاً. ثم الخطوة الثانية هي تقسيم العمل، يعني بعد أن ثبّت القاعدة الفكرية الإيمانية بقوله {أليس أمركم النبي أن تطيعوني}،

نزل إلى العمل لتنفيذ غرضه، فقسّم غرضه إلى أجزاء، كل جزء على حدة إلى آخر جزء يبدو أنه عمل عادي وحلال وصالح في نفسه، مثل {فاجمعوا لي حطباً}، وهذا يفتح باب مهم من فقه الحديث، فإن الأمير الأنصاري لما أمرهم بجمع الحطب لم يخبرهم بسبب ومقصد جمع الحطب، أعطاهم قانوناً ولم يعطيهم شريعة، يعني أعطاهم حكماً غير معلل فقط افعل ولا تفعل، بدون تبيين العلة والمقصد من الحكم. وهنا باب عظيم للإصلاح ومنع الطغيان في الأمّة. وهي أنه ليس لآمر أن يخفي مقصد أمره، بل لابد من تبيين المقصد للأمّة وتكون الأمور عموماً واضحة إما لجميع الأمّة وإما على الأقلّ في بعض الحالات الضرورية القصوى التي تقتضي الكتمان كالحرب مثلاً فلابد مع ذلك من تبيين ذلك لعرفاء الأمّة أي الذين يمثّلونها أو بعضهم، بمعنى لا يجوز بحال من الأحوال أن تخفى مقاصد أي أمر، لأن كل الأمر يأخذ قيمته من مقصده وغايته وليس فقط صورته، فإن صورة جمع الحطب من حيث ذاتها لا تعني شيئاً لا حسناً ولا سيئاً، ولمّا جمعوا الحطب له فقد افترضوا في عقولهم بغير بيانه وعلى غير يقين أن له مقصداً حسناً كإشعال نار للتدفئة أو للطبخ أو نحو ذلك من مقاصد هم اخترعوها وافترضوا بحسن نية أن الأمير يقصدها، لكنهم أخطأوا خطئاً كبيراً لا تزال تقع فيه الأمّة وهي افتراض حسن نية الأمير المجنون والتابع لهواه والذي ينبعث في عمله من شهوته، فإن كان هذا في الأنصاري الذي غضبه طارئ فلأن يكون في مَن هو على غير ذلك من المتغلّبين القاهرين عبيد الدنيا صراحةً أولى بألف مرّة. أمر غير مُعَلل هو أمر فيه عِلّة، هكذا يجب أن نفكّر ونفترض حتى يثبت العكس. ثم بعد ظهور العلّة نحاكمها أيضاً ونرى مدى علاقتها بالأمر ومصلحة الأمّة أو العملية المقصودة.

{فقال "أوقدوا ناراً" فأوقدوها}: يقال هنا كما يقال في الخطوة السابقة، فهذه الخطوة الثالثة وأيضاً تبدو من حيث صورتها المجردة مع ترك كل عامل منفذ للأمر حرية افتراض مقاصد حسنة للأمير وإن كان لم يبيّن ذلك ولو كان مقصده حسناً لبيّن ذلك من البدء فبدلاً من اعتماده مبدأ {أليس أمركم النبي أن تطيعوني} كان عليه أن يقول "أريد كذا وكذا مما يحقق غرض بعث النبي لنا في هذه السرية بسبب كذا وكذا فاجمعوا لي حطباً وأوقدوا ناراً". كما ترى، إيقاد النار في العادة عمل "بريئ" أو "حلال" أو "جائز" إن شئت، لأن العادة عند عموم الناس مبنية على إرادة الخير والمنفعة ولا يتصورون جنون الأمراء وهوس السلطة وما يمكن أن يفعل بالنفس البشرية. لابد من افتراض سوء النية في أصحاب السلطة، حتى يثبت العكس. كما يجب افتراض حسن النية في العامّة، حتى يثبت العكس. هذه أسلم قاعدة، وهي القاعدة التي لم يكسرها أحد إلا وندم، ولم يعمل بها العقلاء إلا وأفلحوا بإذن الله وإن أخطأوا فهو خطأ يمكن جبره ولا مجال لدفعه. "اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظن إثم" وليس اجتنبوا

كل الظن، وليس كل الظن إثم. وفي القصّة محل الدراسة وجدنا كيف ذهب وقت وجهد الصحابة هدراً في جمع الخطب وإيقاد النار، وإن كانت هذه الصورة بسيطة فتستطيع تكبيرها على مستوى الأمّة والمشاريع الطغيانية الأكبر، فإن خطوة مثل خطوة تركيز عقيدة عبادة الطاغية بصورة شرعية قد تأخذ خمسين سنة، وخطوة مثل خطوة جمع الحطب قد تأخذ عشرين سنة، وهكذا. الأحاديث ذكرت أصولاً بسيطة، والصور المعقّدة ترجع إلى هذه الأصول البسيطة.

{فقال "ادخلوها"}: لاحظ في الخطوات الثلاث، جمع الحطب وإيقاد النار والدخول، كلها خطوات مكوّنة من أوامر غير معللة ولا مفسّرة. أمير يأمر بسلطة الإمارة المجرّدة الشرعية في أصلها، ويعتمد على عقيدة الناس بالنبي والدين لكي يأمر بأوامر مطلقة تناسب أغراضه الخاصة.

{فهمُّوا}: إذن أول انفعال للصحابة المؤمنين كان طاعة أمر الأمير الذي استعمله النبي عليهم. لأن النبي {أمرهم أن يطيعوه}، والطاعة للأمر، وقوله "ادخلوها" أمر، بالتالي يجب طاعته لأنه من طاعة النبي بغض النظر عن هذا الأمير. هذا التفكير الساذج هو الذي أوقع ويوقع أكثر الأمّة في العيش كبهائم في حظيرة الجبابرة والملوك والرؤساء ولا زالوا. فليس هذا من دهاء الطغاة ولا حباً فيهم، لكن أصل ذلك حبّ الأمّة للنبي وطاعته التي يعتقدون أنها كامنة في طاعة أمراء الجور كما علمهم شيوخ الفتنة ودعاة النار من المحرّفين من هذه الأمّة. وهكذا وجدنا الصحابة أيضاً {همّوا} بالدخول في النار. لكن.

{وجعل بعضهم يُمسك بعضاً}: هذا ما عمل طغاة هذه الأمّة على منعه من الوقوع. الأمير الأنصاري لم يستطع تفريق الأمّة ومنع التواصل الحرّ الفعّال بينها حتى يستفرد بكل واحد أو قلّة منهم يستطيع ضبطهم وخداعهم وإيهامهم أن الأمّة كلها تطيعه وأنت فقط يا مَن ترفض الدخول في النار الذي تعارض وتعلن الرفض، فلأن الصحابة أي الذين ورد الأمر عليهم، كانوا مجتمعين متواصلين استطاع اليقظ منهم إيقاظ النائم والعاقل تذكير الغافل والمتمهّل تنبيه المتهوّر. من أهم أدوات الطاغية تفريق الناس حتى لا يُمسك بعضهم بعضاً كما فعل المسلمون هنا. لذلك أركان الطغيان هي منع حرية الكلام وحق التجمّع وإظهار المعارضة لأمر الحاكم. فقوله {جعل بعضهم يمسك بعضاً} ناشئ من تجمعهم وتواصلهم. ثم قوله بعدها أن هؤلاء الذين رفضوا دخول النار قالوا..

{فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار} يدل على أنهم قالوا كلاماً يخالف أمر الأمير ومقاصده، فهو ما نسمّيه بحرية الكلام في السياسة. ثم لاحظ كيفية تعليل الصحابة لرفضهم طاعة أمر الأمير الذي عيّنه النبي، وأعيد وأكرر حتى تتنبّه إلى أن هذا الذي عيّنه

النبي هذا حاله فما بالك بمن ستناله لعنة رب النبي والنبي ولعنة اللاعنين يوم يقوم الناس لرب العالمين. لم يعلل الصحابة عصيان أمر الأمير بنصّ من القرءان، ولا بنصّ من السنّة، ولا بفهم صحابة آخرين، ولا بشيء من ذلك. بل عللوه بمقاصدهم الذاتية. يعني، رجعوا إلى أصل الموضوع. هذا الأمير المجنون الذي عندنا، ما أصل سلطته؟ أصل سلطته أمر النبي لنا بطاعته. حسناً. ما أصل طاعة النبي؟ إرادتنا نحن. نحن عرفنا بوجود النار، وأردنا الفرار من النار، وآمنّا بمشيئتنا بدون إكراه أن طاعة النبي وسيلة الفرار من النار، فآمنّا بالنبي واتبعنا أمره. بالتالي أصل طاعة النبي راجع إلى إرادتنا منفعة أنفسنا نحن بحسب ما آمنّا به. فإذا وردنا أمر من النبي مباشرة أو غير مباشرة، يخالف مقصدنا الأصلي الذي بعثنا أساساً على طاعة النبي، فلا طاعة. وهذا قول الصحابة هنا {فررنا إلى النبي من النار}. فأمير النبي يريدنا أن ندخل النار، ونحن فررنا إلى النبي من النار، وفرارنا من النار إرادتنا ومقصدنا منفعة أنفسنا بحسب رؤيتنا وإيماننا، فطاعة النبي فرع إرادتنا منفعة أنفسنا بحسب إيماننا، فمنفعتنا أصل وطاعتنا فرع، والفرع لا يغلب الأصل. هذا تحليل قول الصحابة هنا وهو عين العقل والحكمة. بل وزيادة على ذلك، في القرءان التوحيد نفسه مبني على نفس هذا التحليل، لأن الله يقول "ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتُلقى في جهنّم" بالتالي التوحيد مبني على الخوف من الإلقاء في جهنّم، والاعتقاد بوجود رابطة ما بين التوحيد والإلقاء في جهنّم أمر إيماني، والإيمان راجع إلى المشيئة "مَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر" و "لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي". إلا أنه يوجد بُعد آخر لكلمة الصحابة هنا {فررنا إلى النبي من النار} لأنه لو كان المقصود بالنار في كلامهم النار الأبدية فالأنصاري الأمير لم يأمرهم إلا بالنار الدنيوية الفانية، وإن كان مقصودهم بالنار كل ما يعذّب ويضايق الجسم فهذا واضح البطلان وهو من قبيل "لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنّم أشدّ حرا" والجهاد فيه صعوبات بل وقد يكون فيه تعرّض للنار الحسّية أيضاً كما في بعض الحروب حين يُلقي العدو النار على المؤمنين أو بقية العمليات القاسية على الجسم والنفس التي لا جدال في كون طاعة النبي فيها واجبة وهي من صميم الإيمان. فما الفرق إذن؟ الفرق هو أن هؤلاء الصحابة سمّوا باسم النار التي فرّوا منها كل أمر تبيّن لهم أنه ناشئ عن جهالة وهوى ومقصد فاسد، كما كانوا في الجاهلية يتبعون أوامر هواهم أو أوامر عصبيتهم وقبائلهم ويقتلون غيرهم وأنفسهم في سبيل ذلك بغير عقل ومقصد حسن تبيّن لهم. العبودية نار، لذلك في القرءان "فك رقبة" أو "إطعام في يوم ذي مسغبة" من المنجيات من النار الأبدية، لأن الاستعباد نار والجوع الشديد نار، الاستعباد نار للنفس والجوع الشديد نار للحس، فمَن خلّص إنساناً من هذه النار جازاه الله بتخليصه من نار الأبد من باب "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" و الحسنة بعشر أضعافها إلى ما شاء

الله. فلمّا تبيّن للصحابة أن أمر هذا الأمير إنما هو مظهر لجعلهم عبيداً له ولو باسم طاعة النبي، عصوه واعتبروه ناراً يجب الفرار منها بل هي النار التي فرّوا منها بأصل الإسلام الذي جاء لإخراج "الناس من عبادة العباد"، فهذا الأمير الأنصاري أراد أن يجعل المسلمين الذين معه عبيداً له وهذه نار. نحن لم نتبع النبي وندخل في الإسلام حتى نصبح عبيداً للعباد، فقد كنّا في غنى عن الإسلام بما قبله إن كان هذا هو الحال بعد الإسلام. فما بالك وهذا الآمر ليس النبي بل هو شخص اختاره النبي. هذا بالنسبة للصحابة. فما بالك واليوم الذين يتأمرون على الأمّة باسم النبي هم لا النبي اختارهم بل ولا هو منهم ولا هم منه أصلاً. فحتى إن افترضنا أن الأمير صحابي أنصاري عيّنه النبي، فلا طاعة له بهذا الشكل. تأمل إذن ماذا أنتج للصحابة اجتماعهم وكلامهم الحر من سلطة الأمير المجنون، أنتج لهم إمساك بعضهم بعضاً وتوعية بعضهم بعضاً لإعلان العصيان فهي ثورة على الأمير من هذا الوجه لأنه إعلان عصيان جماعي بعد اجتماع وكلام عقلاني. من أجل ذلك عمل أمراء الجور ولا زالوا يعملون على منع الاجتماع ومنع الكلام وترهيب الناس حتى من مجرّد التفكير بعصيان الرئيس والأمير، ودعاة الفتنة الملكية يعملون على زرع هذا في الناس وتبريره وتشريعه باسم النبي والإسلام.

{فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه}: تأمل كلمة {فما زالوا} التي تدلّ على الاستمرار وحدوث جدل وخلاف بين الذين يريدون دخول النار والذين يرفضون دخولها. وهذا لعله أهمّ خلاف ينشأ في معارضة الأمراء لجورهم الصريح في الإسلام، وكانت الغلبة فيه والحمد لله للذين أعلنوا العصيان ورفضوا الانصياع للطاغية متبع الهوى ومصالحه الخاصة على حساب الأمّة ومعاناتها ومقاصدها. فهذا الأمير المجنون لم يبالي بتألم المسلمين بدخول النار، ولا بتألم أهلهم، ولا بسوء تقديره، ولا بمحاسبة النبي له، ولا خاف الله، ولا التفت لأي شيء غير السلطة التي أعمته والشهوة التي غطّته. هذا وهو صحابي أنصاري ! أعيدها حتى ترسخ في عمق أذنك، حتى لا يتوهم متوهم أن الإنسان عموماً والمسلم خصوصاً والصالح بالأخصّ بل والأنصاري ناصر الله ورسوله بأخصّ الأخير يمكن أن يتخلّص من شرّ التسلّط على الناس وما يحدثه فيه من نوازع الفرعنة. السلطة تجعل الصالح شريراً إن تُرك وشأنه واتبعه الناس بغير تمييز واعتراض. لذلك من حسن مناصحة الحكام أن يعارضهم الناس ويجادلوهم ويعلنوا العصيان عليهم في بعض الحالات، فهذا في صالحهم إن عرفوا مصلحتهم الحقيقية والأبدية، وكذلك في مصلحة الأمّة طبعاً. فهذا الأمير الأنصاري كان سيؤدي بكل المسلمين معه إلى دخول النار إلى يوم القيامة، وكان بالتأكيد سيكون من الهالكين لأنه تسبب بذلك وأمر به ظلماً وعدواناً وبسوء استغلال السلطة التي أخذها من النبي، فكان سيردي نفسه

ومن معه بسبب غضبه. لكن لمّا عارضه المسلمون وعصوا أمره وأمسك بعضهم بعضاً وقالوا ما قالوه واستمرّوا على ذلك، فإنهم نجوا ونجا الأمير الأنصاري ولعله تاب إلى الله وتعلّمت الأمّة كلها بفضل هذه الحادثة دروساً عظيمة في مسألة الإمارة التي كانت ولا زالت سبب عذابات لا نظير لها لهذه الأمّة المرحومة بنبيها وكتابها والمعذبة بأمرائها وجهل عامّتها.

{فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم}: هذا فرق عظيم بين تنظيم السلطة في زمن النبي وبين ما بعد زمن النبي، وهو الفرق الذي يجعل حمل أحاديث النبي في الأمير والإمام على ما يعتبره الناس اليوم أميراً وإماماً هو تحريف بل افتراء صريح على النبي. الفرق هو هذا: في النبي جاء طوعاً وكان يختار الأمير علانيةً وكان بالإمكان الرجوع إلى النبي لمعرفة القضايا جزماً. هذه الثلاثة غير موجودة بعد زمن النبي عموماً في الأنظمة التي قامت باسم النبي زوراً. فهذه الأنظمة التي بررت إيجاد رأس سلطة بغير شورى الناس عامّة وأخذ قول أكثرهم، فإما جاءت بتآمر قلّة كما حدث في السقيفة الأولى والثانية، أو باختيار واحد، وإما بالتغلّب الصريح القهري من زمن معاوية فما بعده إلى يومنا هذا. فهذا نقض لـ"النبي جاء طوعاً". ثم هؤلاء الأمراء لم يختارهم النبي علانيةً، فإما النبي لم يختارهم أصلاً وهم لا يعتمدون على ادعاء أن النبي اختارهم كالقاهرين اللصوص المتغلبة، وإما أنهم يدعون أن النبي اختارهم بنصّ خفي، وإما يدعون أن النبي اختارهم بنصّ جلي لم يثبت إلا عندهم وتخالفوا هم فيما بعد فيه، ونحو ذلك من اعتبارات كانت ولا زالت سبباً للخلاف ولا يوجد ولا واحد منهم يستطيع يقيناً وكما ثبتت سورة الفاتحة عن النبي أن يدعي أن أميره من النبي. فهذا نقض لـ"كان يختار الأمير علانيةً". ثم الفرق الثالث الأكبر الآن وهو {فبلغ النبي}، أي إذا اختلف الأمير والمأمور كما اختلف الأنصاري والصحابة في السرية هنا، فلا يستطيعون الرجوع إلى النبي ظاهراً لمعرفة حقيقة الحال ومَن المصيب ومَن المخطئ يقيناً. لذلك، أي نظام يقوم على افتراض أننا في عصر النبي هو نظام كاذب من أساسه وجائر جزماً ويريد أن يلعب لعبة الأمير المجنون في خطوته الأولى {أليس أمركم النبي أن تطيعوني} لكي يحرق الأمّة كما يشاء من أجل هواه وألاعيبه.

{فقال "لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف"}: الشقّ الأول {لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة} فلم يعذرهم بالجهل ولم يعذرهم بحسن قصدهم طاعة النبي حسب ما أمرهم قبل الخروج بطاعة هذا الأمير، بل حكم عليهم بالنار، مما يعني أن طاعة أمراء الجور سبب لدخول النار ولو كنت حسن النية لأن طاعتهم في جورهم طاعة لغير الله والرسول الذي لا يأمر بالجور أصلاً، فأنت مسؤول مسؤولية عظيمة عن ولائك السياسي واختياراتك العملية. الشق الآخر {إنما الطاعة في المعروف} ومَن الذي حدد

المعروف هنا؟ الصحابة لم يرجعوا إلى الأمير الأنصاري لمعرفة رأيه ومجادلته، ولا رجعوا إلى غير مقصدهم الصالح الأصلي، وأهمّ أمر هو أن الصحابة رجعوا إلى أنفسهم كمأمورين وليس إلى الأمير، بالتالي كان للأمّة سلطة تقييم أوامر الأمير ومدى مطابقتها للمعروف والمنكر. وهذا بالضبط ما تقوم به الدول التي ورثت روح هذا الدين، حين فصلت بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وجعلت الرئيس التنفيذي أي الأمير خاضع في أوامره إلى قيد سلطة الأمّة التشريعية وسلطة الأمّة القضائية مع المراقبة الإعلامية التي هي السلطة الرابعة غير الحكومية والتي ينفتح فيها الجدل بحرية لمناقشة أوامر الرئيس وأمور الدولة عموماً كما فعل الصحابة هنا الذين نقدوا أمر الأمير الأنصاري، ثم شرّعوا المظاهرات وإعلان العصيان واحترموا العصيان المدني للأوامر الظاهرة الجور لهم وهذا مثل {وجعل بعضهم يمسك بعضاً} فلم يكتفي كل صحابي بالنظر في خاصة نفسه ويدع عنه أمر العامّة بل اهتمّ بعضهم ببعض وحمى بعضهم بعضاً وهذا التضامن الاجتماعي في وجه السلطة الجائرة أصل عظيم من أصول الإنسانية عامّة في الدولة المستنيرة والنظيفة القواعد. ليس للأمراء ولا لمن يوظفهم الأمراء ولا لمن يأخذ أجره من الأمراء كأخذ السحرة أجرهم من فرعون ولا لمن لديه مناصب مقربة من الأمراء كتقريب فرعون السحرة، ليس لكل هؤلاء سلطة تقييم أوامرهم وهل هي من المعروف أو المنكر، بل هي سلطة للعامّة من الأمّة أي للمأمورين، وهؤلاء لهم إما الطاعة وإما العصيان بعد تقييم لأمر الأمير هل هو من المعروف أو من المنكر، هذا طبعاً على فرض أن الأمير أمير شرعي في أصل وجوده وإلا فعصيانه أصلاً هو الواجب ولو أمر بأكل اللبن مع العسل في أسحار رمضان. الأمير الشرعي ليس له تقييم أوامره بل ذلك للأمّة، والأمير غير الشرعي يجب على الأمّة أن تزيله بالكلية وتنتزعه من جذوره الخبيثة وتجتثّ أصل شجرته الملعونة.

٣-الزاوية الافتراضية الوعظية:

حين قرأت هذه الرواية، تخيّلت ماذا كان سيكون حال حال الصحابة المساكين الذين أُمروا بالدخول في النار من أجل هوى الأمير، لو كان مثلاً هؤلاء الصحابة هم العرب المسلمين في الجزيرة وكان لهذا الأمير شيوخ من الوهابية مثلاً. تخيّلت الحادثة هكذا.

{بعث النبي سرية} يقول الوهابي: نحن هذه السرية، نحن هذه الأمّة التي بعثها النبي وورثة الدين الإسلامي الخالص من شوائب الشرك والبدع. ونعيش في غربة بسبب تراكم الضلالات والظلمات من حولنا، ولابد لنا أيها الإخوان من الجهاد والتمسّك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمّة.

{فاستعمل رجلاً من الأنصار} هذا الرجل هو الملك السعودي، بما أنه تغلّب على الأمّة فهذا قدر الله بالتالي هو مُستعمَل من الله عليكم، ووظيفته الدفاع عن الدين ونصرة السنة.

{وأمرهم أن يطيعوه} نعم فالآيات والأحاديث وأقوال علماء السلف والخلف من أهل السنة كثيرة في وجوب طاعة ولي الأمر، وهو هنا الملك السعودي.

{فغضب} الملك بشر في نهاية المطاف، فلا يجوز التمسّك بسقطاته وهفواته، وكل الأمم فيها عيوب وكل الدول لديها أخطاء لكن نحن بحمد الله دولتنا خيرها أكثر من شرها وعيوبها أقلّ من محاسنها. ولا يجوز الطعن على ولي الأمر في العلن وانتقاده بسبب أحواله وأفكاره، فإن هذا يسبب فتنة. فلابد من ستر عيوب الملك والأمير وعدم نشرها، وافتراض حسن النية في أحوالهم وأعمالهم ومقاصدهم. فلا يجوز نسبة الغضب للأمير واعتبار أوامره ناشئة من الهوى، فإن هذا من الطعن عليهم وتأليب الناس وإخراجهم من سكينة الطاعة وفتح لباب الفتنة.

{فقال "أليس أمركم النبي أن تطيعوني" قالوا "بلى"} هذا دليل أهمّية طاعة ولي الأمر. وولي الأمر هنا يذكّر بسنّة النبي في طاعة ولاة الأمر، فهو يقول حقاً وصدقاً ويجب مساعدته على ذلك. فالحمد لله الذي جعل ولاة أمرنا يذكّرون الأمّة باتباع السنّة.

{قال "فاجمعوا لي حطباً" فجمعوا} جمع الحطب من الأعمال المباحة في الشريعة، بل فيها فضيلة مشهورة من حيث أن النبي جعل احتطاب الرجل خير من أن يسأل الناس، فولي الأمر هنا وفقه الله يأمر بما يوافق الشريعة ويذكّر الأمّة بتعليم النبي. ثم الصحابة جمعوا الحطب طاعة للأمير، كذلك يجب على الأمّة أن تطيع أمرائها فيما ثبت أنه حلال.

{فقال "أوقدوا نارا" فأوقدوها} إيقاد النار مباح شرعاً، وطاعة الأمير واجبة، وإيقاد النار من الانتفاع بنعم الله على الناس لقوله "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون".

{فقال "ادخلوها"} هنا سيتلعثم الوهابي قليلاً، لكن قد يقول: لا ندري ما مقاصد ولاة الأمر فهو أدرى منّا بحكم السياسة ومنافع الأمّة ولعل له قصداً لا نعلمه ولعله أدرك مصلحة غابت عن العامّة فالواجب عليهم أن يدخلوا النار طاعة لأمر النبي بطاعة الأمراء ولهم أجر بفعل ذلك وهم مأجورون على أية حال، وفي حال أخطأ الأمير في أمرهم بدخول النار فهو مجتهد مخطئ والمجتهد المخطئ له أجر واحد فالأمير إن كان مصيباً في حرق الناس فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد. أو قد يقول الوهابي إن تعاطى شيئاً وكان ميالاً لشيء من قراءة كتب ابن قيم الجوزية: إن الأمير هنا أراد تخليص المسلمين من الدنيا فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها، فإذا أطاعه الناس ودخلوا النار نجوا في الآخرة وهي دار الفوز لأنهم أطاعوه اتباعاً لأمر النبي كما أن النبي حين أمر بصلاة العصر في بني قريظة احتمل قوله الإسراع

أو المعنى الحرفي ولم يعاتب النبي أحد الفريقين بحسب الفهمين المحتملين لقوله كذلك هنا لما أمرهم بطاعة الأمير بغير تقييد كان مَن أخذ بالطاعة المطلقة على طريقة سلفنا الصالح من أهل الشام أصحاب أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه ومن بعده من بني أمية خير ملوك الإسلام فإنه سينجو عند الله، ثم يستطيع الأمير أن يرجع إلى النبي ويقول بأنه إنما أمرهم بذلك وهو غضبان والغضب شعبة من الجنون والمجنون مرفوع عنه القلم بالتالي كان القلم مرفوعاً عن الأمير فلا لوم عليه ويستطيع أن يتوب والله تواب رحيم ولعل النبي يستغفر له وفي المحصلة النبي مسؤول عن هذا الأمير لأنه الذي اختاره والنبي ذنبه كله مغفور، بالتالي يكون أمر الأمير الأنصاري للصحابة بدخول النار فيه مصلحة عظيمة ومنفعة كبيرة من حيث أنهم سيدخلون الجنة لأنهم أطاعوا النبي وهو لا ذنب عليه لأنه مجنون مؤقتاً والنبي ذنبه مغفور بنصّ القرءان فالعملية كلها سليمة إذن. أو قد يقول الوهابي: لعل هذا الأمير رأى جيشاً عظيماً من المشركين مقبلاً على المسلمين بالرؤيا أو بمعلومة سرّية وردته ثم لم يرغب في رؤية المسلمين يتعذبون كما تعذّب الصحابي الذي قبض عليه أهل مكة وقطعوه وجعلوه فتنة للناس يخوفون بما حصل له العوام من الدخول في الإسلام فأراد الصحابي تخليص الأمّة من الشرّ الأكبر والضرر الأعظم عبر هذا الشر الأصغر والضرر الأقل للانتحار الجماعي و"الموت مع الجماعة رحمة". أو أو أو، ومن سوء حظ الأمير الأنصاري أنه لم يكن له شيخ وهابي جامي مدخلي يبرر له كل جنونه وجرائمه ومعاصيه ومخازيه ومظالمه كما هو الحال مع الملك والأمير السعودي.

{فهمّوا وجعل بعضهم يُمسك بعضاً ويقولون "فررنا إلى النبي من النار"} خوارج ! خوارج! شرك ! شرك ! هؤلاء الذين عصوا الأمير الذي عيّنه النبي قد مرقوا من الدين ويستحقون القتل شرعاً وبسيف النبي نقتلهم كما قتل زيد الحسين بن علي بسيف جدّه. فالذين همّوا بدخول النار هم المسلمين الصالحين، والذين أمسكوهم وفتنوهم بالمعارضة والمجادلة-والجدل قبيح في الدين والنبي نهى عن المراء-هم من الخوارج ولعلهم من عملاء الدول الأخرى، وفيهم شهوة الرئاسة وحب التقدّم والميل للفتنة. ثم إن قولهم "فررنا إلى النبي من النار" حجّة باطلة، فإن الأمير لم يأمرهم إلا بحرق دنياهم لا آخرتهم، و"الدنيا لهم والآخرة لنا" فطاعة الأمير من صلب الدين وفيها نجاة الآخرة وأما الدنيا فهي لأهل الدنيا فالواجب على المسلمين الحفاظ على دينهم والتمسك بولاة أمورهم وجمع الكلمة حفاظاً على الدين وبيضة الإسلام (بيضة الإسلام التي لم يفقعها أحد كما فقعها هؤلاء الكلاب الوهابية !)

{فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه} الحمد لله الذي سكّن غضب الأمير وجعله يرحم الأمّة بالتيسير عليها والعفو عنها، فهكذا ولي الأمر على سنّة النبي في الرحمة والشفقة على الرعية.

{فبلغ النبي فقال "لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف"}...هنا لحظة صمت للوهابي، ثم سيقول واحد من اثنين أو كلاهما: إما سيقول أن ولي الأمر وهيئة كبار العلماء والقضاة الذين هم من الموظفين في الدولة لكنهم "مستقلون لا سلطان عليهم في أحكامهم لغير أحكام الشريعة الإسلامية والأنظمة المرعية" ويستطيع الأمير أن يرسل رصاصة إلى القاضي لجعله يغيّر رأيه ويعيد قراءة النصوص بحسب فهم سلف الأمّة الصحيح، هؤلاء هم الذين يعرفون ما هو المعروف. هذا جواب. وإما سيقول جواباً آخراً وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف الإسلام على وجهه الصحيح، والوهابية فهموه أحسن منه بحكم دعوة "شيخ الوجود" ابن عبدالوهاب وذريته الأخيار والدعوة النجدية المستقيمة. فإن قول النبي هنا يثير الفتنة ويؤدي إلى جعل العامّة تعصي ولاة الأمير وهذا مخالف لنصّ القرءان "وأطيعوا ..أولي الأمر منكم".

نختم بشيء من المغالطات الشائعة:-

المغالطة الأولى: لابد من طاعة الملك المتغلب ما دام لا يأمر بمعصية.

الرد: نفس وجود ملك متغلب معصية وقبول الملكية معصية، و"ما بُني على باطل فهو باطل"، فلا داعي للنظر في فروع أوامره إذا كان أصل أمره وأساس سلطة الأمر عنده غير مشروع. وقول هؤلاء الدجالين يشبه شخصاً اغتصب بيتاً من أهله ثم بدأه يأمر وينهى فيهم فقيل لأهل البيت الأصليين "ما دام لا يأمركم بمنكر فعليكم طاعته" وكأن اغتصاب البيت قد نُسي ولا قيمة له. لا شرعية للأمر الواقع، لكن الأمر الواقع لابد أن تكون له شرعية. ومَن يقول بشرعية الأمر الواقع.

المغالطة الثانية: المعروف ما وافق أحد المذاهب الإسلامية الفقهية المعتبرة.

الرد: أوّلاً هذا التعريف مبتدع.

ثانياً المذاهب الإسلامية فيها الشيء ونقيضه وكثيراً ما يكون الاختلاف حتى بين المذاهب السنية فضلاً عن غيرها يشتمل على الآراء المتعارضة المتناقضة التي تشمل الاحتمالات العقلية جميعاً للمسألة الواحدة وهذا يساوي إعطاء الحاكم سلطة مطلقة ليحكم بهواه لأن كل

الاحتمالات الممكنة موجودة في المذاهب بالتالي يستطيع أن يصبغ هواه الشخصي ومصلحته الخاصة باسم المذهب الشرعي.

ثالثاً القضايا الواقعية والسياسية قد تحتمل أكثر من رأي مذهبي، بل وقبل ذلك تحتمل أكثر من رؤية في تشخيص الواقعة ثم بناء على التشخيص سيتم وضع الرأي الفقهي، وتشخيص الواقعة ليس أمراً شرعياً بل هو أمر عقلي واقعي، وبما أن تشخيص الواقع ليس من الشريعة ونصوصها، وفهم الشريعة راجع إلى تشخيص الواقع، فلا يمكن الاحتجاج بالمذاهب الشرعية على تشخيص الواقع ويبقى هذا في حيّز الفكر والنظر المفتوح للأمّة.

رابعاً، مَن سيختار المذهب الفقهي المتبع؟ على أي أساس سنأخذ برأي هذا الفقيه دون ذاك؟ الأمّة مختلفة في هذا، فلا يمكن للحاكم ولا غيره أن يجبرهم على واحد من هذه المذاهب باسم الشريعة لأن اسم الشريعة يشمل الكل. فلا يبقى إلا الاختيار، إما أن نختار رأي الأمّة وإما أن نختار رأي الحاكم. ورأي الأمّة بألوانه وأطيافه يمكن التعبير عنه بالانتخابات والاستفاءات الشعبية، وهذا ما سيعكس مصلحتها وما تريده لنفسها. وأما رأي الحاكم فسيكون بحسب مصلحته هو عادةً ومصلحة جماعته وطبقته. فإن جاء الحاكم بالتغلب والقهر كان الأمر أفحش وأظهر من أن الاحتجاج ضدّه، وإن جاء باختيار الأمّة فالأصل إذن اختيار الأمّة وليس رأي الحاكم إلا تبعاً لرأيها وفي نطاق ما تعطيه من سلطة.

خامساً، إن احتملت الشريعة ثلاثة آراء، وكان بالإمكان الجمع بين العمل بينها كلها بأن يعمل كل واحد بما يشاء من الثلاثة بدون أن يُنكِر عليه البقية، كان هذا هو الأسلم والمتعيّن، لأن الثلاثة لها نفس القوة الشرعية، فالنهي عن بعضها نهي عن بعض الشريعة وهذا كفر فإن المجتهد مأمور شرعاً بالعمل بحسب اجتهاده وهو مكلّف بما أوتيه وفهمه وآمن به ولا أقلّ في نطاق نفسه "عليكم أنفسكم". فلابد من ترك أكبر مساحة للأمّة لتعمل بما تراه بدون تقييدها برأي واحد لا باختيار الحاكم ولا غيره. ويجب على الأمّة أن تعتاد السعة في الأحكام والأعمال على اختلافها بدون اعتبار ذلك "فتنة"، هذه الكلمة التي أضاعوا معناها من الملكية والجبرية وجعلوها في الاختلاف السلمي الذي هو صلب الديانة والحرية.

سادساً، لو كان المتغلّب يراعي الشريعة أصلاً لما تغلّب ولما رضي بقتل مسلم واحد ولا بتعذيب مسلمة في سجن أو بيت من أجل تثبيت عرش ظلمه. فلن ننتظر شريعة من مثل هذا الآثم الجبار العنيد الذي حسبه جهنّم يصلاها وجنوده وبئس المصير.

سابعاً، بعد قواعد مثل "الضرورات تبيح المحظورات"، و "إذا ضاق الأمر اتسع"، و المصالح المرسلة، و تغيّر الأحكام بتغيّر الزمان، ونحو ذلك، يستطيع الأمراء الأمر بأي شيء وتعليله بمثل هذه العلل، ولن يعدم فقيه من حيلة تجعله يفتي بما يهواه الحاكم، وحيث أن إعلان

العصيان على أمر الحاكم جعلوه مروقاً من الدين يستحق صاحبه القتل أو السجن بيقين، فسيقولون ما يشتهون وسيسكت الناس ليسلموا ومَن تكلّم سيكون كلامه هباءً منثوراً عندهم.

الحاصل: في الحديث أن الصحابة رفضوا الدخول في النار لطاعة أميرهم، وحين يأتي يوم تخرج فيه هذه الأمّة من النيران التي يعيشون الآن فيها خضوعاً لحكوماتهم الظالمة أصلاً وفرعاً سنكون فعلاً أقرب إلى فهم الكتاب والسنّة بحسب فهم سلف الأمّة من الأحرار أولى الأيدي والأبصار.

...

قالت: الفكرة من الصيام الاستشعار بالفقراء او الامتناع؟

قلت: الإنسان من نفس وحس. حين يخمد الحسّ تشتغل النفس، وحين يشتعل الحس تخمد النفس. الصيام لإخماد الحس، حتى تشتعل نار النفس بالتعقل والنظر في باطن العالَم والأمور العالية، وحتى يملك الإنسان حسّه ويجعل السلطنة لنفسه. كذلك حتى يحيا الإنسان حقيقة أن نفسه يمكن أن تعيش ويمكن أن يسعد بدون التصرف الحسي الشهواني، فيتذوق في الصيام شيئاً من لذّات العالَم الأعلى النوراني الروحاني الملائكي العقلي. وكذلك حتى يرى الصائم في نفسه تجلياً لاسم الله الصمد الذي لا جوف له ولا يُطعَم "وهو يُطعِم ولا يُطعَم" فيشهد شيئاً من الصمدية في نفسه فيعرف الله بهذا الاسم. هذه أهمّ مقاصد الصيام، ولذلك فيه نزل القرءان لإن القرءان "روحاً من أمرنا" فإذا صارت النفس أكثر روحانية كانت أكثر تعقلاً للقرءان وتلذذاً به. وأما فكرة الفقراء فهي فكرة جانبية وثانوية، بدليل أن الفقراء أنفسهم مأمورون بالصيام ولا يسقط الصيام عنهم لأنهم فقراء.

...

سألت عن فكرة العود الأبدي فسألتها عن تعريف ذلك أو إن كانت تقصد مفهوم نيتشه فقالت نعم تقصد نيتشه فقلت:

العود الأبدي يعني حسب فهمي أن تعيشي بطريقة لو افترضتِ أنك ستعيشين إلى الأبد ستكونين سعيدة فيها. يعني افترضي أنك ستعيشين هنا إلى الأبد، الآن انظري في حياتك ونفسك. هل تجدين السعادة؟ الآن. هل تحبين أن تعودي إلى نفسك حياتك هذه لو افترضنا أنك ستعودين إليها. إن كانت إجابتك "لا"، لأنك الآن تعيشين بنحو مرفوض لك وتودين تغييره، فهذا تنبيه لك على أنك تعيشين بطريقة خاطئة. العود الأبدي افتراض عقلي، وليس حقيقة كونية دنيوية. افتراض عقلي ليساعدك على حسن تقييم حياتك واختياراتك.

...

في أول مقطع من سورة النمل ذكر آية من تسع كلمات {الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون} وذلك في تعريف الإيمان الذي هو مدار النجاة والانتفاع بآيات الله الكتابية.

ثم ذكر موسى فقال {في تسع آيات إلى فرعون وقومه}. ثم ذكر كتاب سليمان إلى سبأ وفيه تسع كلمات {بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين}. ثم ذكر قصّة ثمود فقال {كان في المدينة تسعة رهط} ولما ذكر عاقبتهم ذكر آية فيها تسع كلمات {فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم وقومهم أجمعين}.

من درس دقائق القرءان وإشاراته عرف استحالة صدور ذلك من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. فإنه لو افتعل هذه الأمور لنبّه الناس عليها ليمدحوا عليه، والواقع أن ما تقرأه الآن من فتوحات هي من الحور العين التي لم يكشفها أحد قبل هذه اللحظة حسب علمي وأحسب على الإطلاق وهو بفضل محض من الله كما قال "وزوجناهم بحور عين".

...

قوم ثمود، لماذا عاقب الله القوم أجمعين في قوله {دمّرناهم وقومهم أجمعين}؟ قوله {دمرناهم} يرجع إلى {كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون}، فهؤلاء التسعة هم المشار إليهم بضمير {دمرناهم}، فلماذا قال بعدها {وقومهم أجمعين}؟ ما ذنب القوم إذا كان التسعة هم الذين أفسدوا ومكروا بإرادة اغتيال النبي وأهله وعقر الناقة التي ما عقرها إلا واحد من التسعة "فتعاطى فعقر"؟ واحد عقر، تسعة أفسدوا، فدمّر الله التسعة و{قومهم أجمعين} ما ذنبهم؟

الجواب: كما قال الله في فرعون "فرعون وقومه" واعتبر قومه "فاسقين" مثله وسيوردهم النار. كذلك هنا. فالقوم لأنهم يتبعون أمر فرعون، "فاتبعوا أمر فرعون"، فالقوم هم الذين يتبعون أمر إنسان سواء كان شخصاً واحداً أو عدّة أشخاص. "هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود". فرعون وجنوده يحكمون قوماً يطيعون أمر فرعون، والتسعة رهط وجنودهم يحكمون قوماً يطيعون أمر التسعة (وهم تسعة حتى إذا انقسموا في الرأي إلى أربعة وأربعة يفصل التاسع بينهما فهو حكم جماعي خلافاً لحكم فرعون الفردي). فلمّا كان قوم ثمود يتبعون التسعة طاعةً ورضاً، كما اتبع قوم فرعون فرعون طاعةً ورضاً "استخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين"، كان مصير قوم ثمود مثل مصير التسعة، كما أن مصير قوم فرعون مثل مصير فرعون.

...

تقديراتي في الأمور السياسية المعاصرة ليست قلب رسالتي ولا جوهر دعوتي، بل القلب والجوهر هو أمر الله والنفس والآخرة والتأويل الروحي للقرءان والأكوان والإنسان. لكن لمّا كان الأمر السياسي يؤدي إلى تغيير الأمر الروحي، ومنع أكثر الناس من كرامة النفس التي هي أساس الأمر الروحي، ومفاسد أخرى كثيرة من تحريف الدين ومنع نشر علومه والقيام علناً وبراحةً بشعائره، ومن محاربة الله الملك الحق عبر الطغيان في الأرض وتأسيس عروش بشرية تحاول مضاهاة عرشه وأمره تعالى، وجب تديناً العمل السياسي عندي. لكن وبالرغم من ذلك، فإنه حتى إن لم يكن لي دين، فإن تقديراتي السياسية لن تتغيّر في الجوهر لأنها عقلية نفسانية المصدر وإنسانية المشرب. إلا أن كون ديننا دين الفطرة جعل سياستي موافقة لروحانيتي.

...

{لتُجزى كل نفس بما تسعى} وليس بما تصل إليه. لذلك المثالية في السعي أمر محمود في الآخرة، لأنك في الآخرة تجزى بما تسعى وإن لم تبلغه في الدنيا.

...

لكل الأخلاق السيئة مواضع حسنة، فأصل الأخلاق كلها حسن لكن حين تضعها في غير موضعها تصبح سيئة. فالبخل حسن، والجبن حسن، والكره حسن، والطمع حسن، والظلم حسن، كلها في الأصل حسنة إن عرفت مواضعها، ولولا إمكان حسنها لما خلقها الذي خلق السموات والأرض {بالحق} والذي ما العالَم إلا مرآة أسمائه {الحسنى}.

أما البخل الحسن، فأن تبخل بغيظك لقوله "والكاظمين الغيظ". وأما الجبن، فأن تجبن عن المعصية لقوله "خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوى". وأما الكره، فأن تكره "الكفر والفسوق والعصيان". وأما الطمع، فأن تطمع في مغفرة الله خطاياك "والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين". وأما الظلم فأن تؤثر غيرك على نفسك "يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة". وعلى هذا النمط، لا تحارب شيئاً محاربة مطلقة، لكل شيء منفعة فابحث عن موضعها وضعها فيها.

...

{إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات}، كل شيء من الحياة يُسلَب منك هو شيء من الموت ترتاح منه. لذلك جاءت المحرمات والمكروهات رحمة بالنفس، حتى تقلّ اتصالاتها بالحياة فتقلّ آلامها عند الممات.

...

بما أن الله في الحديث القدسي قال "أنا جليس مَن ذكرني"، وفي القرءان جعل علامة العِجل أنه "لا يُكلّمهم"، فالسؤال: لماذا حين يصلي المؤمن ويذكره لا يسمع الله يكلمه؟

الجواب الأول: الصمت كلام. فعدم كلامه هو عين كلامه. كما أن الوجود مطلق أو مقيّد، والمطلق أشرف من المقيد. كذلك المعنى مطلق أو مقيد، والمعنى المطلق هو الصمت والمعنى المقيد هو الكلام، فتجلى المعنى المطلق بالصمت هو عدم كلام لكنه عين الكلام من حيث كون فائدة الكلام اللغوي هي توصيل المقاصد والمعاني. فمن نظر إلى الكلام فقط من حيث هو ألفاظ ومباني سيعترض بالاعتراض السابق ويقول كما قال المشركون "لولا يكلّمنا الله". النفس تتحرر بالمعنى المطلق، وتتقيّد باللفظ لأنه مقيّد. فالصمت الإلهي تحرير للنفس لمن عقل. النفس تأخذ المعنى إما من باطنها وإما من خارجها، والصمت الإلهي يجعلها تستنبط المعنى من باطنها، لكن لو ورد عليها اللفظ من خارجها فلعلها تكون كمصداق قوله "إن نشأ نُنزِّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين" بمعنى أن النفس التي لا تستنير بالصمت من خارجها فإنها قد تتمثّل بحسب اللفظ الوارد من خارجها بدون التماهي مع حقيقته التي في باطنها وهذا يشبه تغيير اللباس مع بقاء الجسم متسخاً متنجساً. الصمت بيان عند أهل المعنى المطلق.

الجواب الثاني: كلامه وحي. والوحي معناه الكلام الخفي السريع، لأنه يُلقي الكلمة بالروح، والروح خفي لأنه غير مادي، وسريع لأنه فوري لا تشعر فيه بقطع مسافة مكانية أو مُدَّة زمنية. فالوحي يشعر به القلب عادةً حين يرى أثره وليس سببه، كما قال "انظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها"، فالنظر ليس إلى عين الرحمة الإلهية لأنها منزهة مقدسة، لكن إلى أثر الرحمة، كذلك صاحب الصلاة والذكر إذا نظر في قلبه سيجد أثر كلام الله ومجالسته له، فيجد حياة قلبه بالأحوال والأقوال والأفعال النورانية.

...

هذه ترجمتي لقصيدة الصحابي الأنصاري التي لخص فيها سيرة النبي قبل الهجرة (أول بيتين)، وفي المدينة (ثاني بيتين)، ونصرة الأنصار (ثالث بيتين)، فجمع بذلك السيرة كلها، ثم ختم بالبيت السابع الذي فيه خلاصة النبوة التي هي الوحدة الإلهية والقرءان. ترجمتها لتكون أساساً لمن لا يعرف العربية.

He lived for more then ten years in Quraysh,
Reminding, if only he found an accepting friend.

And he offered himself to the people of the seasons of pilgrimage,
But he saw no asylum giver and saw no caller.

And when he came to us and settled,
And became joyful and content in The Good city.

And did not fear an injustice from the unjust who is far away,
And did not fear a transgressor from amongst the people.

We sacrificed for his sake the best of our property,
And our souls in the fields of war and comradeship.

Antagonizing whomever he antagonizes from all peoples,,
With right, even if he is a close loved one.

And we know that Allah there is nothing other than Him,
And that The Book of Allah became The Guider.

هذه الأبيات من القصيدة التي مطلعها {ثوى في قريش بضعة عشرة حجّة}.

أرسلت هذه القصيدة مع ترجمتي لها لصاحبي بدر، ففتح الله له بترجمة معنوية أحسن من ترجمتي والحمد لله على ذلك وقد قلت له بعد أن قرأتها أني لم أقرأ بالانجليزية شعراً أحسن وأعمق وأنفع من ترجمته هذه والتي لابد من أن تُعلّق في كل بيت ومسجد وتوزع في الجرائد والمجلات ويُعرَّف الإسلام بها وتُعطى سيرة النبي وجوهر دعوته بها، وقد استأذنته في وضعها في كتابي هذا فأذن لي مشكوراً، وهذه هي فتنعّم بها:

Now despite exhausting all his efforts in reminding the Quraishy's for a decade, they still wouldn't recall.

Neither did the pilgrims, passer-thru-ers nor the traders through the seasons, as they passed him standing tall.

When we welcomed him in our Taibah, his spores at last found a garden in which to safely grow.

Tyranny's bloody Spears, saws and daggers, finally out of reach, love vanquishes fear like Spring melts snow.

We gave the finest from which we owned and even lives to defend our right to hear his message to the end…see his art.

And what we heard was to hearts like skies to wings or oceans to fins, no kin nor blood could ever tear this union apart.

Because now enlightened we've remembered that there's no-thing other than God.

And when the dusk of forgetfulness clasps it's claws upon the world again, the dawns's chariots shall obey any adventurers who'll take the Koran as their guide.

…

في حديث الأمير المجنون بالغضب الذي أمر الصحابة بدخول النار يوجد شاهد نافع في مسألة "الاختلاف في الفروع جائز والاختلاف في الأصول لا يجوز". يقول الكثير أن الاختلاف في أصول العقائد لا يجوز لأنه يؤدي إلى التكفير والتكفير يؤدي إلى القتال وافتراق الأمّة، بينما الاختلاف في الفروع الشرعية والمسائل الفقهية جائز كاختلاف المذاهب المعتبرة ذات المناهج المضبوطة كالحنفي والشافعي مثلاً. أقول: بل يجوز الاختلاف في الأصول وفي الفروع معاً. والجواب على تحليلهم ببيان سببين أساسيين، الأول عن التعليل والثاني عن العلّة.

أما التعليل، فإنهم ميّزوا بين الاختلاف في العقائد والاختلاف في الفقه على أساس أن الاختلاف في العقائد يؤدي إلى التكفير والتكفير يؤدي إلى القتال والافتراق، وهذا التمييز عندنا مغلوط، وفيه الردّ على نفسه، لأنه منع للاختلاف في العقائد بناء على اللازم من الاختلاف وليس بناء على نفس الاختلاف، يعني المشكلة عندهم حدوث التكفير بل ليست في التكفير ذاته بناء على أنه يوجد "كفر دون كفر" أي قد يوجد تكفير بدون قتال، المشكلة الجوهرية عندهم هي أنهم ربطوا بين التكفير والقتال، وهذه مشكلتهم هم ورأيهم العنيف والبغيض والإجرامي، وأما عندنا نحن فقد نكفّر الإنسان ولا نستجيز حتى مسّ شعرة من جسمه بل من جسم كلبه ولا نقول ننهب أمواله ونستبيح ذريته كما يفعل هؤلاء. هم ربطوا بين

العقائد والتكفير، ثم ربطوا التكفير بالقتل، فصار الاختلاف في العقائد عندهم سبباً للقتل، فمنعوا الاختلاف في العقائد فراراً من لازم القتل. فإذا فككنا هذا الارتباط الخبيث بل اللعين الذي لا أساس له لا في الفطرة ولا في الحقيقة ولا في كتاب الله تعالى بل كل أولئك ضدّه تماماً، بل ولا حتى له أساس في السياسة الدنيوية العقلانية وتنظيم المعيشة البشرية، فهو لعنة خالصة سنبيّن في مقالة لاحقة إن شاء الله أصلها الحقيقي، لكن على أية حال دينياً لا يوجد لدينا ارتباط بين تكفير الإنسان وحتى الحكم بردّته وبين قتله وقتاله وتفريق الأمّة إلى جماعات متحاربة بناء عليه. لذلك تعليلهم لمنع الاختلاف في العقائد لا يلزمنا لأننا أهل سلام، وهو لعنة دائمة فوق رؤوسهم لأنهم أهل ظلم وظلام.

أما العلّة، فإن العقيدة الإسلامية عندهم مأخوذة من النصوص الشرعية المفهومة إما بحسب صورتها الظاهرية اللغوية المادية وإما بحسب تأويلاتها العقلانية الذهنية البشرية، فأصحاب الفهم الأول هم مَن كانوا يُعرفون بأصحاب الحديث وأصحاب الفهم الثاني هم كالأشاعرة والماتريدية في السنّة. وبما أن العقيدة مأخوذة من نصوص، ومن أفهام ذهنية بشرية للنصوص، وكلاهما من أسباب نشوء اختلافات في الفهم بالضرورة لأن بعض النصوص يثبت عند البعض ولا يثبت عند الآخر أو يثبت لكن يختلفون في فهمه، فالنتيجة أن الاختلاف في العقيدة مثل الاختلاف في الفقه لأن الفقه أيضاً مبني على أفهام ذهنية بشرية لنصوص منقولة. فالعلّة في الاختلاف في العقيدة هي نفسها العلّة في الاختلاف الفقه، فلمّا جاز الاختلاف الفقهي جاز أيضاً الاختلاف العقدي.

الآن، لماذا ذكرنا هذه المسألة في حديث الأمير المجنون؟ لأن أحكام الإمارة هي بحسب التقسيم المشهور من فروع الدين، بل على التحقيق من فروع فروع الدين، لأنها أحكام تطبيقية دنيوية عادية خلافاً مثلاً للأحكام المجردة للصلاة والنكاح والتي يمكن معرفة تفاصيلها قبل تفعيلها في الواقع، فيكون في الإمارة سعة أكثر من باب التعامل مع القضايا الطارئة والمتغيرة والتي لا يمكن حصر صورتها بسهولة نسبية كما يمكن حصر أركان النكاح مثلاً. فبالرغم من أن الإمارة من فروع الدين أو فروع فروعه، فالنبي حكم على الصحابة الذين كانوا سيدخلون النار وإن كانوا فعلوا ذلك طاعةً لأمر الرسول بإطاعة الأمير الذي اختاره، حكم عليهم بدخول النار وقال {لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة}.

دقيقة: قال النبي {ما خرجوا منها إلى يوم القيامة} ولم يقل "إلى الأبد". فالمقصود أنهم سيعذّبون في النار في عالَم البرزخ الذي ما بين الدنيا والآخرة. لماذا؟ مدّة البرزخ مؤقتة،

فالعذاب هنا عذاب مؤقت يفنى، وسبب ذلك أنهم لو دخلوا النار لدخلوها متأولين لوجوب ذلك بناء على أمر النبي، فلمّا خلطوا في عملهم بين صورة أمر النبي وبين الجهل بمقصد أمر النبي، استحقوا العذاب بسبب الجهل ووردتهم الرحمة بفناء العذاب البرزخي بسبب عملهم بأمر النبي. هذا أمر.

أمر آخر، كيف يقول {ما خرجوا منها} فأشار إلى ذات النار التي سيدخلوها، ولم يقل "ما خرجوا من النار" أو "ما خرجوا من نار البرزخ" أو عبارة أخرى، فالنبي يشير إلى أن النار الدنيوية التي سيدخلوها هي ذاته النار التي سيكونون فيها ولن يخرجوا منها إلى يوم القيامة مع العلم أن النار التي دخلوها {خمدت} بعد فترة قصيرة وهذا بديهي، فكيف يبقوا في ذات النار إلى يوم القيامة بينما تلك النار قد خمدت وفنيت؟ الجواب: لأن الموجود الواحد في الكون له درجات في الظهور، فحقيقته علوية وصورته وسطى ودنيوية. الحقيقة العلوية للنار هي النار الأخروية الأبدية، ولها صورة في البرزخ كما قال في آل فرعون "النار يُعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب"، ولها صورة في الدنيا وهي هذه النار التي نشعلها وتخمد كقوله "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً" وقوله "كلما أوقدوا ناراً للحرب" وقوله "كمثل الذي استوقد ناراً". فالنار واحدة وهي نار الآخرة، ولها صورة وسطى برزخية وثالثة دنيوية، وبينهم اتصال حقيقي. فحين تكون النفس في الدنيا تعاني من النار الدنيوية، لكن إن استحقّت العذاب بسبب معصية انتقلت إلى نار البرزخ، فإن استحقّت العذاب بسبب الكفر انتقلت إلى نار الآخرة، هي سلسلة واحدة من نار ذات جوهر واحد. وعبّر النبي عن هذه الوحدة الجوهرية بين النيران الصورية حين قال {ما خرجوا منها} فأشار إلى ذات النار بالرغم من تغيّر صورة النار. فالنبي ينظر إلى جوهر الأمر وباطن الحقيقة، ولا تستخفّه المظاهر ولا تغويه الظواهر. "ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربّه الكبرى".

...

سمعت شيخاً سنّياً يقول ما حاصله: إذا خسرنا صحيح البخاري وكتب الحديث فلن "يبقى للمسلمين شرف" وسنخسر المصادر التي على أساسها بنينا ديننا ومذاهبنا.

أقول: لو أحرقنا كل كتب الأرض لبقي الدين سالماً في فطرتنا وعند الله ورحمته. ثم ليس لأحد "بعد القرءان من فاقة" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، ونجد مثل هذا المعنى في القرءان لكن جئنا به من كتب الروايات كحجّة عليهم من ما يرونه مصدر مذهبهم. ومثل هؤلاء الذين يحسبون أن كتاب الروايات هذا أو ذاك هو القاعدة الأساسية للدين وبدونه ينهدم الدين كمثل الذين يحسبون أنهم لو عادوا تراباً إلى أساس وجودهم فلن يبعثهم الله وهم في لبس من خلق جديد، والحق أن الله يلقى الروح من أمره على مَن يشاء من عباده حين يشاء

كما يشاء وكما يرزق الأجسام فهو يرزق النفوس ورزق النفوس هو العلم الديني، فما كان الله لينعم على الناس في دنياهم والدنيا عنده لا تزن جناح بعوضة ثم يبخل والعياذ بالله عنهم في أخراهم والآخرة عنده "خير وأبقى". شرف المسلم في التوحيد، وعزّه في كلام الله، ومصدر هدايته الوحيد الذي لا يستطيع الاستغناء عنه هو الولي الهادي عزّ وجل.

نعم، لا تناقض بين كتب الروايات وهذه الأمور، لكن مَن يريد جعل ما ورد في تلك الكتب كأمور لا يجوز نقدها وحتى رفضها بحجّة وبرهان على أساس أنها شرف المسلمين والأساس الوحيد للدين السليم فهذا ما نردّ عليه بما قلناه.

...

قد يقول البعض احتجاجاً لنجاة فرعون "أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب" وهذا كلام في "آل فرعون" وليس في فرعون. نقول: يحتمل، لكن يمكن ردّه بقول قوم لوط "أخرجوا ءال لوط من قريتكم" وداخل في "ءال لوط" لوط ذاته طبعاً بل هو رأس مَن أرادوا إخراجه. كلمة " الآل" تشمل الرأس ومن يتبعه، لكن كلمة "الأهل" تفصل بين الرجل ومن معه. فالرجل داخل في آله وليس داخل في أهله. حين تقول "آل إبراهيم" فإبراهيم داخل في المعنى، ولذلك قال " إن الله اصطفى ءادم ونوحاً وآل إبراهيم" ومن البديهي أن إبراهيم من المصطفين وليس فقط آله بمعنى زوجه وذريته. بالتالي، قول الله "أدخلوا آل فرعون" يشمل فرعون، بل لولا فرعون لما استحقّ آله العذاب أصلاً، فإن قوم فرعون هلكوا باتباعه والبقية كذلك.

فإن قيل: لكن الفرق هو أن فرعون ءامن بينما قومه وآله لم يؤمنوا والنجاة بالإيمان. قلنا: نعم لهذا قلنا "يُحتَملَ" ولا اعتراض جوهري على مَن يقول بنجاة فرعون من هذا الوجه، إلا أنه يمكن الردّ على ذلك بأن إيمان فرعون كان بسبب رؤية مادية وهو الغرق فإيمانه لم يكن من القلب بناء على الغيب ولذلك لا ينفعه في الآخرة بل نفعه في الدنيا فنجّاه الله ببدنه لأنّه آمن بسبب بدنه وليس بناء على روحه وعقله.

فإن قيل: لكن التحقيق يكشف أن الإنسان لا يستطيع أصلاً الحكم بالبدن إلا إن كان العقل هو الحاكم كما في قصّة ملكة سبأ التي حكمت بعقلها في عين حكمها بحواسها على العرش واللجّة، فيستحيل أصلاً الحكم بحسّ بدون عقل، بالتالي حتى حين رأى فرعون الغرق فإن الله لم يحدّثنا أن بقية جنوده آمنوا كذلك كما آمن هو بإله بني إسرائيل ولم يسلموا مثله، فهذا يدلّ على أنه حكم بعقله على ما شاهده بحسّه، وآمن أن ما حدث له هو بسبب إله بني إسرائيل وبسبب عدم إسلامه فعرف الحقيقة والدين في تلك اللحظة، ولم يكن ذلك ضرورياً كما نرى الملحد الصميم مثلاً حتى إن كان سيسقط من الطائرة لعله لا يؤمن بإله ولا بشيء ويعتبر هذه حادثة طبيعية بحتة مثل السقوط من الدرج، بل توجد حادثة الملحد المشهور هيتشنز الذي

كان داعية إلحاد كبير في هذا العصر فأصابه سرطان في الحلق فلم يعتبر ذلك تنبيهاً إلهياً بل اعتبره حادثاً طبيعياً بحتاً ورفض الإيمان بإله حتى آخر أيامه ولعله حتى آخر لحظة لكن الله وحده يعرف ما يدور في القلوب إلا أن كل الأدلة تشير إلى أنه بقي ملحداً وبقي ينافح عن الإلحاد ويجادل عنه حتى بعد أن ظهرت عليه آمارات المرض والموت الأخيرة، فهذا ملحد عقلاً فلم يؤمن حين شعر بالموت ولم يعتبر ما حدث له عقوبة بسبب إلحاده، فكذلك فرعون لو كان فعلاً كافراً مطلقاً بإله بني إسرائيل والإسلام الذي هو دين الله وكان مكذباً بآيات الله تكذيباً مطلقاً فلا يرى أن ما يحدث له في العالَم من آيات الله له، لما آمن هو الآخر ولم يُسلم ويعلن ذلك بالقول حتى وهو محاط بالماء. لكل ذلك، الفصل بين الإيمان العقلي والإيمان الحسي غير معتبر هنا لأنه لا يوجد أصلاً إيمان حسي بل كلّه عقلي الأصل. وحيث ثبت إيمان فرعون بعقله فقد ثبتت له النجاة في الآخرة كنجاة المؤمنين على اعتبار أن "الإسلام يجبّ ما قبله". أقول: للمرّة الثالثة لهذا قلنا "يحتمل" وهو مذهب قوي، وبه قال الشيخ محيي الدين في الفصوص. فما قلناه يبيّن أن الاعتراض مطلقاً على نجاة فرعون ليس من شأن أهل التحقيق، ولا القول بهلاكه مطلقاً من بديهيات الدين والقرءان والعقيدة كما يصوّر خصوم صاحب الفصوص رضي الله عنه.

...

{ولا تكن في ضيق مما يمكرون} من إرادتهم اغتيالك وأهلك. لو اغتالوك فأنت شهيد، ولو فشلوا فأنت سعيد.

هذه الآية من سورة النمل والتي ورد قبلها ربط المكر باغتيال النبي صالح "لنبيّتنه وأهله... ومكروا مكراً".

...

{وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين} الحروف في أوائل السور تدلّ على الغائبة.

هذه الآية من سورة النمل والتي ورد في أولها "طس.تلك ءايات القرءان وكتاب مبين". فالحروف آيات كل غائبة.

كذلك هذه الآية تدلّ على أن في كتاب الله مرآة كل غائبة في السماء والأرض لمن يفتح الله له في كتابه وبه. والدليل أن فيها {في كتاب مبين} وهذا من أسماء القرءان العربي، ويعزز ذلك قوله بعدها مباشرة "إن هذا القرءان يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون". فكل غائبة في السماء والأرض يمكن أن يفتحها الله ويعلمها مَن يشاء من أهل القرءان. وكل

غائبة من القضايا العقلية والمسائل الشرعية أيضاً في القرءان. وما ليس في القرءان فهو باطل أو ليس من شأن القرءان بيانه لأنه ليس من الدين.

...

(من سورة النمل، من الآية ٧٦)

٧٦-{إن هذا القرءان} العربي الذي أُنزل عليك، يقيناً وجزماً بدليل "إنّ"،

{يقصّ} القصّ موضوعه يشمل أنباء الرسل والقرى ومختلف طبقات الناس فقال في الرسل "رسلاً قصصناهم عليك" وقال في القرى "تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها" وقال في الناس "كان في قصصهم عبرة". ويشمل أيضاً الرؤى المنامية لقول يعقوب "لا تقصص رؤياك". ويشمل علم الله بالحوادث الإنسانية مثل "لنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين". ويشمل الإخبار عن الأحكام الشرعية لقوله "وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك". ويجمع ذلك كلّه أن القصّ في القرءان متعلّق بالإنسان، رؤاه وأفعاله وأحكامه وحوادثه فرداً كان أو جماعة. والغرض من القصّ هو إحداث الذكر والفكر "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون".

{على بني إسرائيل} فالقرءان جاء لبني إسرائيل أيضاً، بالتالي بني إسرائيل من أهل العربية وقوم الرسول "بلسان قومه ليبين لهم". والمشهود أن الأمّة الوحيدة التي تتخذ القرءآن كتاباً لها هي أمّة المسلمين، فاسم {بني إسرائيل} مَثَل على المسلمين في التأويل، ولذلك كان نبينا محمد مثله موسى في التأويل لقوله تعالى "أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً". فقوم نبينا محمد هم المضروب لهم مَثَل فرعون وجنوده وآله وقومه.

{أكثر الذي هم فيه يختلفون} وليس "كل". بل {أكثر}. بالتالي توجد نسبة من الأمور غير مذكورة وهي الأقلّ. فكيف يقول هنا {أكثر} وقد قال في آية أخرى "ما فرطنا في الكتاب من شيء" وفي ثانية "نزلنا عليك الكتاب تفصيلاً لكل شيء" ؟ هذا يدلّ على أن بني إسرائيل قد اختلفوا في الدين بكل أصوله وفروعه واختلفوا في أمور الدنيا والنزا ع فيها وأمور اخترعوها وجعلوها أساساً من عند أنفسهم فلا عبرة بها. أي الاختلاف ينقسم إلى اختلاف معتبر واختلاف غير معتبر. أكثر بما يختلف فيه أهل النبوات جوابه في قصص هذا القرءان، وأقلّه ساقط عن الاعتبار رأساً. فليس كل سؤال ينبغي الجواب عليه، بعض الأسئلة ساقط بنفسه. فهذا أوّل الإصلاح وجمع كلمة الأمّة المؤمنة بالربوبية من جديد. ينبغي تقسيم ما تختلف فيه وتصنيفه إلى معتبر وغير معتبر. مثال بسيط جداً لتقريب الفكرة وإلا فالأمر أعقد: يختلف مسلم ومسلم في هل الإنسان مختار أو مجبور في الجوهر؟ هذا اختلاف معتبر وكبير، لأنه ينبني على القول بأحد هذين القولين طعن في عدل الله تعالى ورحمته أو كفر بالنبوات

والرسالات وجدواها أو نحو ذلك من لوازم ضرورية خطيرة، فهذا ستجد له جواباً في قصص القرءان. لكن لنقل أن مسلمين اختلفا في أيهما أفضل علي أم أبي بكر؟ ستنظر في قصص القرءان ولن تجد لا علي ولا أبي بكر، ابحث قدر ما تشاء فلن تجد في قصصه ذكر علي ولا ذكر أبي بكر بالاسم، فهذا اختلاف غير معتبر ولا ينبغي بناء أي تفريق للأمّة عليه أيا كان قولك في هذه المسألة وما يترتب عليها عندك وما تتفرع هذه المسألة عنه من قضايا الإمامة. نعم في نفس هذا الاختلاف غير المعتبر، إذا دققت في المسألة وحللتها ستجدها ترجع إلى أصول قد فصّلها القرءان، مثلاً مسألة الإمامة ومسألة التفاضل بين الناس ومسألة طرق كسب العلم ومسألة العهد وعلاقته بالظلم ومسألة أنواع الظلم ودركاته ومسألة التمييز بين أصحاب النبي وأهله وآله وأولي قرباه وعشيرته الأقربين والأبعدين ضمناً ونحو ذلك. فمن الإصلاح بالقرءان والانتفاع بقصصه إرجاع خلافات الأمّة إلى أصول مسائلها التي قصّها القرءان، ثم الانطلاق من القرءان لرفع الاختلاف السيء. ثم لدينا بُعد آخر وهو التمييز بين الاختلاف المقبول والاختلاف غير المقبول، فمثلاً قال الله "اذكروا الله ذكراً كثيراً" فمن الاختلاف المقبول اختلافنا في أعداد الذكر فمنّا مَن يرى الذكر الكثير ثلاثة فما فوق ومنّا مَن يراه سبعة ومنّا مَن يراه في السبعين ومنّا مَن يراه ألفاً ومنّا مَن يراه خمسين ألف لقوله "في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" وكبّر الله هذا العدد في الآية. لكن من الاختلاف غير المقبول التنازع بعد تبيّن حكم الله في الأمر فقط لأنه يجعل الحق عليك بدلاً من لك كقوله "وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين" أو حين تجعل معاييرك الدنيوية العصبية مقدّمة على موازين الله العليا كقول بني إسرائيل الذين سألوا نبيهم ملكاً فلما بعثه الله قالوا "نحن أحقّ بالملك منه ولم يؤتَ سعةً من المال" بينما موازين الحق قالت "إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم"، فهم جعلوا عنصر إنسان سبب تميّزه والنبي جعل اصطفاء الله سبب تميّزه، وهم جعلوا المال سبب الارتفاع والنبي جعل البسطة في العلم والجسم سبب الارتفاع. ومن أبرز الأمثلة على الاختلاف غير المقبول قوله "ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم"، فحين لا يحسم العلم الاختلاف لأن جذر الاختلاف ليس علمياً أصلاً وإن بدا كذلك في الصور بل جذره إرادة بعضهم البغي على بعض كأن يرغب بعضهم بالتسلط بالقهر على الآخرين فحين يجد القرءان يمنع ذلك يعمل على تحريف القرءان أو ردّه صراحةً أو تغافلاً عنه فمثل هذا مهما قصّ القرءان عليه لا ينفعه فإن القرءان لا ينقذ مَن شاء الكفر وسعى في طريق النا لا يلوي على شيء.

{إن هذا القرءان يقصّ} القرءان هو الذي يقصّ. ففي آية قال "فاقصص القصص" فنسب القصّ للنبي. وفي آية قال "نحن نقصّ عليك أحسن القصص" فنسب القصّ لله أو لملائكته.

الله ذات والملائكة ذوات والنبي ذات، فكذلك هنا لمّا قال {القرءان يقصّ} فالقرءان ذات ويشهد لهذا قوله "أوحينا إليك روحاً من أمرنا" وقال قبلها "الروح من أمر ربي" وقال في الروح "يوم يقوم الروح والملائكة" فالروح ذات حقيقية وجودية قائمة وليس هو ما يتوهمه البعض من كونه شيء شبه ميت أو غير واعي أو مجرد صفة في شيء كاللون مثلاً للجسم فيكون الروح للنفس كذلك، بل الروح ليس فقط مثل الملائكة بل هو أعلى من الملائكة باعتبار فإذا كانت الملائكة ذوات عاقلة فالروح كذلك من باب أولى أو من باب المساواة. "يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا مَن أذن له الرحمن وقال صواباً" فالروح كائن حي عاقل يتكلّم بل هو مقدّم على الملائكة في مشهد القيامة، لكن الله تعالى ليس الروح كما يتوهم الكثير من الكافرين، بل " الروح من أمر ربي" وليس "الروح ربي" أو بعبارة أدق لم يقل "ربي الروح" كما قال الذين كفروا "الله هو المسيح" لأنهم وجدوا المسيح "روح منه" فاعتقدوا بأن الله روح فألّهوا المسيح لذلك، لذلك بيّنت الآية أن الروح في جماعة الملائكة فهو من المكوّنات والمجعولات "روحاً من أمرنا..جعلناه نوراً"، وكذلك الروح تحت الرحمن ولا يتكلّم إلا بإذنه فهو عبد الرحمن ولا تصرّف له من عند نفسه باستقلال عن الرحمن جل وعلا. كذلك الحال هنا، {القرءان يقصّ}. ومن هنا ورد في بعض الأحاديث تجلّي القرءان في صورة رجل في البرزخ وفي المحشر وعند الشفاعة "القرءان شافع مُشَفَّع". لكن حيث أن الروح "من أمر ربي" وهو واحد "ما أمرنا إلا واحدة"، فالروح حقيقة واحدة لها مظاهر كثيرة، ومن مظاهرها الكبرى الجامعة هو المظهر القرءاني، أي هذا القرءان هو تجلّي الروح لقلب نبينا محمد، وكما أن شعاع الشمس لا ينفصل عن الشمس في المَثَل كذلك القرءان لا ينفصل عن الروح في العقل، وبما أن "الروح من أمر ربي" فمن اتصل بالقرءان اتصل بالروح ومَن اتصل بالروح اتصل بربّه وصار في حضرته.

ولذلك قالت الآية {إن هذا القرءان يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون}. فقوله {بني إسرائيل} يدل على أن المقصود النفوس التي انبثقت عن إسرائيل الذي هو الاسم الروحي الباطني للنبي يعقوب، فيعقوب اسم نفسه وإسرائيل اسم روحه وعقله، كما أن عيسى اسم نفسه والمسيح اسم روحه وعقله الأعلى الذي يجتمع به مع الملائكة المقربين ومن هنا قال " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون" فسمّاه باسم المسيح مجرداً في هذه الآية التي جمعه فيها بالملائكة المقربين وليس أي ملائكة بل أعلى درجات الملائكة إذ "ما منّا إلا له مقام معلوم" وبعض الملائكة فوق بعض "مُطاع ثَمّ" فمنهم آمر ومنهم مُطِيع لأمره، والروح في أعلى درجة العالَم الأعلى النوراني. فهذا القرءان يقصّ على النفوس الإسرائيلية تحديداً، فآدم هو المَثل وكل نفس تحققت بشيء من مَثَل آدم وخصوصاً جوهر آدم تصبح من "

بني ءآدم" ولذلك تُخاطَب بخطاب آدم فيقال لها "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة" لأن كونهم من بني ءادم يعني أن مَثَل ءادم سينطبق عليهم بالتالي عليهم الحذر مما كان ينبغي على ءادم الحذر منه في القصّة. كذلك الحال هنا. {بني إسرائيل} هم الذين عقلوا مَثَل إسرائيل، فصاروا من بنيه بالتحقق بجوهره وشيء من صفاته فهم على منهاجه. لكن لمّا كانوا {بني} بالكثرة، وبالذكورة التي تدل على العقل، تكثّرت آراءهم واختلفت مذاهبهم فافترقوا فيما بينهم افتراقاً سيئاً فدلهم على القرءان الذي فيه كشف الحقائق الروحية التي تُريهم الوحدة في الكثرة والجامع في المفترقات {أكثر الذي هم فيه يختلفون}، ولاحظ {يختلفون} بالمضارع الزماني مما يشير إلى كونها نفوس هبطت في وعيها إلى مستوى الزمان المتغيّر الحادث وهو الطبيعة، أي هي نفوس أصلها روحاني لكنها هابطة الوعي في المستوى الطبيعي فافترقت لذلك، فجاء القرءان حتى يقصّ عليهم كما قال في أخت موسى " قالت لأخته قصّيه" بمعنى تتبعي أثره حتى تجديه، كذلك هنا {إن هذا القرءآن يقصّ} أي يكشف آثار طريق الروح حتى ترجع هذه النفوس الهابطة المختلفة عبر عملية الفكر إلى المبدأ الأعلى الجامع "وكانوا معه على أمر جامع". إذن قصّ القرءان كشف لطريق عودة النفس من المظاهر المختلفة إلى الوحدة العليا، ومن الطبيعة إلى الروح، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الأمثال إلى تفسيرها وتأويلها.

٧٧-{وإنه} أي القرءان.

{لهُدى ورحمة} الهدى في أوامره وأحكامه، والرحمة في أخباره وعلومه. وفي القرءان حكم وعلم، فالحكم هدى النفس من حيث إرادتها، والعلم رحمة النفس من حيث عقلها.

{للمؤمنين} الذين يرون الآيات في الآفاق والأنفس، فالإيمان رؤية "لما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً". فالإيمان مبني على شعور القلب الأمان لنفع أحكام القرءان وصدق أخباره وتحقق أمثاله في الواقع. فأما مَن لم يكن من المؤمنين، كالذين لا يعقلون أمثاله ويفكرون في قصصه ولا يرون مصاديقها في عصرهم وزمانهم وفي أنفسهم ومن حولهم، فهؤلاء ليس القرءان هدى ورحمة لهم لأنهم لن يعملوا بأوامره فيكون لهم هدى ولن يصدّقوا أمثاله فيكون لعقولهم رحمة بمعرفة حقائق الأمور.

٧٨-{إن ربّك يقضي بينهم بحكمه} عبر القرءان. فربّك يقضي بين المؤمنين أهل القرءان، فالقرءان وسيلة كشف قضاء الله الحي والحالي، فالقرءان جبريل هذه الأمّة إن شئت الموصل لرسالة ربك الحاضرة والمعاصرة.

{وهو العزيز العليم} فكما أعطى الوجود لكل شيء بهويته كذلك يعطي النور لنفوس المؤمنين بحكمه. وعزّته اقتضت أن لا يُنال بالحس ولا بالنفس ولا يُدرَك بالبصر ولا يُحاط به بالبصيرة، فلذلك صار القرءان وسيلة بيان القضاء الإلهي كما قال "فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً" فتعالي الله يجعله ممتنعاً على الظهور جهرة كما يتمنّى الكفرة "أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم"، ولذلك كان الروح المجرّد في العالَم الأعلى والروح المجسَّد في العالَم الأدنى المتمثل في القرءان بالنسبة لنا هو وسيلة ظهور قضاء الله لنا. وهذا القضاء من فيض اسم العليم، "لنقصن عليهم بعلم وما كنّا غائبين". إذن الأسماء الثلاثة {هو العزيز العليم} تدلّ على التفسير الإلهي لعبارة {إن ربّك يقضي بينهم بحكمه} فهذه العبارة في مستوى التجلي ولذلك جاءت بالمضارع {إن ربك يقضي بينهم بحكمه} فقوله {ربك} نسبه إلى مخلوق، وقوله {يقضي} مضارع فيدل على التجدد والحدوث، وقوله {بينهم} هؤلاء يختلفون إذ يموت جيل ويعيش جيل جديد فيحتاج كل جيل إلى قضاء جديد، وقوله {بحكمه} يدل على أنه حكم حادث "ذكر من ربهم محدث" بحسب حدوث الأشخاص وأنواع القضايا الظاهرية والباطنية والحكمية والعلمية التي تطرأ بينهم. إذن عبارة {إن ربي يقض بينهم بحكمه} بيان على مستوى التجلي، فما هو البيان على مستوى التعالي؟ هو قوله {وهو العزيز العليم} إذ الأسماء الحسنى هي مبدأ كل تجلي في العوالم الدنيا بالنسبة لها وكل العوالم دنيا وأرض بالنسبة لسماء الأسماء. ومن هنا لمّا قال "إني جاعل في الأرض خليفة" فهمه أهل الحكمة بأنه خليفة في العوالم كله من حيث حقيقة ءادم، وليس الأرض بمعنى الجزء السفلي من الدنيا الطبيعية، على اعتبار أن السماء ترمز إلى الأسماء الحسنى التي كل ما سواها أرض بالنسبة لها ومن هنا قال "ءأمنتم مَن في السماء أن يخسف بكم الأرض"، خلافاً لما يعتقده الجهلة بل الكفرة الذين يرون السماء في هذه الآية هي هذه السماء المادية التي فوق أجسامنا حاشا لله بل حاشا للملائكة أن يكونوا في هذه السماء فضلاً عن الروح فضلاً عن الله تعالى وتقدّس عن ما يقوله الجاهلون الكافرون علواً كبيراً، كيف وهذه السماء مخلوقة فهل كان خارجها ثم دخل فيها- والعياذ بالله من قول الهُجر وتصور الكفر.

٧٩-{فتوكّل على الله} حين تعرف حكمه الحي لك، توكّل على الله واعمل بما حكم واصبر لحكمه. فإذا حكم لك في أمر من أوامر الهدى العملية فتوكّل واعمل به وستنال المنفعة التي ترجوها نفسك، وإذا حكم لك في أمر من أمور الرحمة العلمية فتوكّل واصبر لتحققه وسترى الحقيقة التي آمنت بها نفسك وشهدتها في نفسك. فالتوكّل يدعو إلى العمل بالأمر والصبر لظهور تأويل الذكر ومقتضيات الفكر.

{إنّك على الحق المبين} الذي انكشف لك بالقرءان حين قضى ربّك بوسيلته لك. فالقرءان وسيلة معرفة الحق بنحو مبين غير مبهم ولا مستعجم. والحق إما حق عملي وإما حق علمي، فالحق العملي مثل "فلا يُسرف في القتل"، والحق العلمي مثل "لم يلد ولم يولد". وهو ليس مجرد حق لا تعقل أنه حق ببيان واضح لك، بل هو {المبين} أيضاً. فالنفس قد تعتقد بشيء يكون حقاً في الشريعة أو في الواقع، لكن ليس لديها البيان والبرهان والتمييز الواضح الذي يجعلها تعرف لماذا ذاك الأمر حق وما علامة حقانيته. أما أهل القرءان والتوكّل فتوكلّهم مبني على {الحق المبين}. بالتالي، بقدر معرفتك بالحق وبيانه لك بقدر ما تكون مالكاً بإذن الله للقوّة الباعثة على التوكّل. وهذا خلاف تماماً ما تجده عند الجهلة الذين يزعمون أنهم أهل توكّل، الذين كل توكلهم المزعوم مبني على أنهم لا يعرفون حقاً ولا يتبيّنون أمراً، أي التوكّل عندهم استحال إلى زعم تسليمهم بعقائد لا يعرفون حقيقتها والعمل بشرائع لا يعرفون مصدر حقانيتها ويذهبون ويهيمون على وجوههم في الدنيا بلا معية اسم المبين الإلهي.

{فتوكّل على الله} أمر وحكم. {إنّك على الحق المبين} خبر وعلم. فترتّب الأمر على الخبر، على طريقة القرءان العقلية العالية. فقوله {فتوكل على الله} غذاء للإرادة، وقوله {إنك على الحق المبين} غذاء للعقل، وهذا رزق ربّك الأعلى الذي قال فيه "رزق ربك خير وأبقى" فأحكامه خير وعلومه أبقى لأنها حقائق أبدية لا تفنى بفناء الدنيا بل تبقى ببقاء الآخرة العليا.

٨٠-{إنك لا تُسمع الموتى} الذين لا يتّبعون الذكر ولا يخشون الرحمن بالغيب، كما قال في أوائل يس "إنما تنذر مَن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب" ثم قال في أواخر يس "لتنذر مَن كان حياً ويحق القول على الكافرين"، بالتالي اتباع الذكر وهو عمل عقلي فإن الذكر من باب العلم "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، وخشية الرحمن وهو عمل إرادي فإن الخشية من شؤون الإرادة وتصرفاتها وكيفية ظهورها وانفعالها وصلتها بالأشياء. فالموتى موتى العقل عن الذكر والإرادة عن الخشية. والذكر والخشية من أمور الباطن، فالموتى هم أهل الحس الذين كفروا النفس، "نسوا الله فأنساهم أنفسهم"، فنسوا الحواس الباطنية لنفوسهم "فلما أحس عيسى منهم الكفر" فالكفر عند عيسى محسوس وذلك من آثار حياة النفوس، فكما

تحس الأجسام بالجسمانيات الدنيوية كذلك تحس النفوس بالنفسانيات الأخروية، ومن هنا قال أن لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام لأنهم صاروا كأنهم مجرد أجسام. وبالأخصّ في هذه الآية الموتى هم موتى القلوب، لأنه ذكر الصمم والعمى بعدها، فجمع الثلاثة كما قال "إن السمع والصبر والفؤاد" وذكر في أخرى القلب والأذن والعين. بالتالي، {إنك لا تسمع الموتى} أي موتى القلوب. كما قال في البصر "إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب". كذلك إنها لا تموت الأبدان ولكن تموت القلوب. وعلامة موت الجسم عدم النبض والحركة، كذلك علامة موت القلب عدم التعقل والتفقه والتفكر والتذكر. حياة القلب بنفخ الروح، ونفخ الروح من بدن الله "ونفخت فيه من روحي" فهذا أمر راجع لله "أرسلنا إليها روحناً"، فكل ما على الإنسان الذي يريد الروح من الله ليحيا قلبه هو أن يطلب منفعة نفسه بدلاً من حسّه، ويتجرّد من حسّه ويُعِدّ وعيه للخروج من قيد الحس إلى أفق النفس، ثم في أفق النفس الذي هو عالَم الجعل الذي هو ظلمات كله إلا إن شاء الله أن يشرق بنوره على النفس التي فيه، وهكذا الحال هنا، فعلى الإنسان الطالب للروح أن يفعل كما فعلت مريم "إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً" فانتباذها اعتزالها وخلوتها في محراب محاربة شهوات وصور المحسوسات حتى تتجرّد نفسها، "فاتخذت من دونهم حجاباً" انفصال عن الناس، وتوجّهت جهة المشرق ليكون لها مَثَلاً بلسان حالها تدعو به الله ليشرق عليها بنوره وفيض علمه وحكمته وروحه وكلمته "وأشرقت الأرض بنور ربها"، "فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً" فكما تجرّدت عن حسّها لنفسها أرسلنا إليها روحنا، وكما اتخذت مثل المشرق في انتباذها وضربت الحجاب بينها وبين الناس كذلك جعلنا الروح يتمثّل لها بشراً سوياً فكان اتخاذها مثال المشرق للإشراق الإلهي إيماناً منها بذلك سبباً لتمثّل الروح لها وكان اعتزالها البشر من أجل إرادتها ربّها سبباً لتمثّل الروح لها بشراً سوياً. مريم مثال النفس حين تتجرّد عن الحس، إرادةً لمعرفة ربها وإحياء قلبها بروحه الأعلى. فالإنسان لا يستطيع إحياء قلبه، لكن جعل الله له قدرة الاختيار ما بين حياة النفس وحياة الحس، ودلّه وذكّره على حياة النفس بالرسل والصالحين ومصائب الدنيا المختلفة التي تصيب جسمه ونفسه حين تتوجّه حصراً إلى الدنيا والمنافسة فيها وطلب شهواتها، فإن اختار حياة النفس فهو في حكم الحي كما أن قاصد الهجرة في حكم المهاجر وإن لم يبلغ دار هجرته بعد واقعاً. قوله {إنك لا تُسمع الموتى} يعني موتى القلب لأنهم اختاروا حياة الحس على حياة النفس، والرغبة في الشهوة بدلاً من إرادة العقل والمعرفة.

{ولا تُسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين} حين تكلّم الأصمّ النفس، أي الذين لا يسمع كلام الروح والعقل، وتحدثه عن حياة النفس والأبدية ومعرفة الله فكأنك تكلّم مَن لا يسمع بأذن

جسمه عن الأغاني الراقية والموسيقى الفلكية والأحوال والمواجيد الناشئة عن أصواتها الحلوة والعذبة أو الحزينة المبكية أو المثيرة المبهجة ونحو ذلك، فهذا الأصمّ لا خبر له عن سامعي الأغاني ويعتبر مواجيدهم نوعاً من الجنون ورقصهم أمراً غير مفهوم. كذلك الحال هنا بل هو أشدّ بالنسبة لأصمّ أذن النفس الباطنية. {الدعاء} إلى حياة النفس والمعرفة والآخرة الأبدية. {إذا ولّوا مدبرين} قال "إذا" مثل "إذا جاء نصر الله"، يعني الأصمّ بالتأكيد سيولّي مدبراً، لأن وجهه لا يستطيع التوجّه إلى عالَم لا يرى له حقيقة ولا يشعر فيه بشيء.

٨١-{وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم} فالسماع للمجردات، والرؤية للمجسّدات. فالسمع يتعلق بأسماء الله لأنها متعالية، والرؤية تتعلّق بأمثال الآخرة وصور عالَم الباطن كالخيال الصادق كما في الرؤيا. {إن تُسمع إلا مَن يؤمن بآياتنا فهم مُسلمون} الإيمان بالآيات عقل، والإسلام إرادة، وجعل الإسلام فرعاً للإيمان. والإيمان موضوعه الآيات، والآيات لها ظاهر وباطن، ومصدرها من الله تعالى والآيات كلامه الحي للعالَمين من العاقلين. المقصود هنا أن الذي لا يؤمن بآيات الله من حيث الأصل وبالكلية، وليس آيات الله القرآنية العربية التي يتلوها نبينا محمد وورثته، فيوجد إيمان بآيات الله من حيث الأصل وهو سابق وهو شرط ضروري للإيمان بآيات الله من حيث الفرع ومصداق تلك الكلية كالآيات القرءانية العربية. وهذا من دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أقصد الإيمان بالآيات الإلهية والإسلام لله من حيث الأصل الكلي السبق على الوحي النبوي.

٨٢-{وإذا وقع القول عليهم} إذا ظهرت مصاديق أنباء القرءآن على هذه الأمّة، فتحققت بمثل الأقوام السابقة وجرت عليها السنن كلها بسقوطها في مهاوي الجهل والكفران والخوض كالأمم السابقة.

{أخرجنا لهم دابّة من الأرض} من أرض الله الواسعة، "إن أرضي واسعة"، وهي الأرض التي ستظهر فيها الخلافة، "إني جاعل في الأرض خليفة". ستخرج لهم {دابة} وكل إنسان وكل ما يدب على الأرض دابة، لكن في هذه الآية إشارة إلى أن هذا الأمر سيقع في زمان تدبّ على الأرض أمور تتكلّم بالنيابة عن الإنسان الخليفة كما هو الحال لدينا اليوم في الآلات ووسائل الاتصال.

{تُكلّمهم} فالدابة سيظهر منها كلام، موضوعه؟

{أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} أي ما مضى في هذه الأمّة كان مبنياً عموماً على غفلة الناس وجهلهم بآخرة آيات الله وهو باطن القرءان، ولهذا قال في أول سورة النمل "وهم بالآخرة

هم يوقنون" فاليقين متعلّق بالآخرة، والآخرة هي الباطن لقوله "يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون". فلم يكن ثمة يقين بآيات الله الظاهرة في قول القرءان، وهذه الأمّة هجرت القرءان عموماً، وبنت دينها وحياتها على غير أسس القرءان وأحكامه وعلومه، إلا ما شذّ وندر. وهذا ما نحن فيه الآن.

٨٣-{ويوم نحشر من كل أمّة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون}

كما قال في سليمان في نفس السورة "حشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون".

فقوله {ويوم نحشر} يشمل أهل الحس حصراً وهم الجن، وأهل النفس وهم الإنس، وأهل العقل وهم الطير "عُلّمنا منطق الطير" "جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة".

وقوله {من كل أمّة} كل عصر، كل زمان. سيتم إظهار أمثلة من كل عصر "ادكّر بعد أمّة" أي فترة زمنية محددة، سيتم إظهار أمثلة على كيفية عدم اليقين بالقرءان عند طبقات الأمّة الثلاثة، أهل الحس والنفس والعقل.

{فوجاً} وهم الذين خرجوا من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً.

{ممن يكذّب بآياتنا} فقد كذّب بآياته تعالى من الأصناف الثلاثة، فقول كذّبوا لأنهم انحصروا في الحس، وقوم كذبوا لأنهم بقوا في ظلمة النفس، وقوم كذبوا لأنهم اخترعوا أفكاراً وقدّروا تقديرات باطلة ولأغراض فاسدة كتنازع الذين أوتوا العلم والكلب الذي أخلد إلى الأرض والسحرة الذين وظفوا عملهم لخدمة الطاغية.

{فهم يوزعون} فلابد من جمع الكل لإظهار ذلك ومناقشة الحساب كما فعل سليمان.

٨٤-{حتى إذا جاءوا قال أكذّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون} فلا يوجد عمل أولى بالإنسان من تعلّم آيات الله والتصديق بها، وكل ما سوى ذلك ينبغي أن يكون مجرد خادم لهذا العمل الأعلى.

قوله {أكذبتم بآياتي} للجن أهل الحس. هؤلاء أنكروا وجود الآية لأن الآية تفترض ظاهراً وغيباً باطناً وهم لا يعلمون الغيب. "تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين".

وقوله {ولم تحيطوا بها علماً} للإنس أهل النفس. لأن النفس المحدودة ولا تحيط بعلم الله، فقد تكذّب بما لم تحيط بعلمه فرحاً بما عندها من العلم بدلاً من أن تكل أمره إلى الله ولا تقف ما ليس لها به علم حتى يأتيها العلم وينكشف لها أصله من القرءان.

وقوله {أم ماذا كنتم تعملون} للطير أهل العقل الروحي. فهؤلاء قد يكذبون بالآيات من حيث تفضيلهم عمل شيء غير الاشتغال بعبادة الله ودعوة الخلق إليه وبيان الحقائق لهم مجاناً بلا أجر ولا شكور ولا جزاء من أي صنف بل لوجه الله تعالى، فقد ينحرفون عن هذا ويبدأوا يعملون أعمالاً أخرى كطلب الترىب على ناس أو التأله أو أشغال الدنيا للدنيا ونحو ذلك من تحريفات وانحرافات مَن هم من أهل هذا المستوى على شرفهم.

فالكلّ معرّض للخطر، حساً ونفساً وعقلاً. ومدار الكل في هلاكه على ابتعاده عن القرءان ظاهراً وباطناً وسرّاً.

٨٥-{ووقع عليهم القول بما ظلموا فهم لا ينطقون} الوقوع الأول للقول ظهورهم بمظاهر أمثال السوء في القرءان، والوقوع الثاني هنا هو مواجهة الله إياهم بالحساب بإظهار وقوعهم بغير عذر في أمثال السوء.

{فهم لا ينطقون} كما عطّلوا القوة الناطقة فيهم في الدنيا، ذهبت عنهم في الآخرة. فأهل الحسّ عطّلوها بالشهوات، وأهل النفس عطّلوها بالانحصار في المعلومات، وأهل الروح عطّلوها بكتم البينات أو الميل للمخلوقات.

٨٦-{ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون}

{الليل ليسكنوا فيه} الدنيا كلها ليل. {والنهار مبصراً} الآخرة "وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب". فحين ترى في الطبيعة الليل ثم النهار، اعلم أن هذا مَثل على الدنيا ثم الآخرة. كذلك نفسك في ليل ثم حسابها وظهور أمرها في الآخرة وتجسّد أعمالها نهار "من يعمل مثقال ذرة من خير يره" "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً".

٨٧-{ويوم ينفخ في الصور} يظهر تأويل القرءان بنفخ الروح الحية في صور أمثاله، فينتقل من ليل الأمثال إلى نهار التأويل.

{ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا مَن شاء الله} مَن شاء الله في سماء عقله وأرض إرادته فهذا لا يفزع حين يتبيّن له تأويل أمثال القرءان لأنه سيكون له أمثال الحسن وسيكون مصداقاً للمحسنين في قصص القرءان، لكن مَن سوى ذلك سيفزع لأنه سيرى أنه فرعون في قصّة موسى وعاقر الناقة في قصّة ثمود وهكذا وهو أمر مفزع حقاً والعياذ بالله.

{وكُلّ أتوه داخرين} لن يخرج أحد عن أمثال القرءان حين يظهر تأويلها، "أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون". وسيتبيّن أن الكل عباد وعبيد الله، لا مفرّ ولا مخرج من ذلك، والكل

خاضع لسنّت الله، فإما يسلك في سنن المحسنين أو سنن المجرمين وكلاهما داخر لأمر الله خاضع لحكمه التكويني.

٨٨-{وترى الجبال} الأمثال.

{تحسبها جامدة} كالذين ينظرون إلى آية "فألقى موسى عصاه" ويحسبوها جامدة في " أساطير الأولين" ولا ظهور لها اليوم ولا تأويل لها حقاً.

{وهي تمرّ مَرّ السحاب} كما أن السحاب يتحرّك كذلك الأمثال حية حين ترى باطنها وتأويلها.

{صنع الله الذي أتقن كل شيء} فصنعه في الآفاق وضع أشياء يخالف ظاهرها باطنها، كذلك صنفه في الآيات القرءانية بوضع أمثال ظاهرها بقرة وباطنها سنة، ظاهرها موسى وباطنها محمد، ظاهرها مريم وباطنها النفس المريدة وجه الله، وهكذا.

{إنه خبير بما تفعلون} فعلنا ظاهر وخبرته باطنة محيطة بها، لكن يحسب الغافل أن فعله غير معروف لله "لكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون". فعلك كالجبل تحسبه مجهول لله تعالى وهو معلوم له بخبرته فهو يعلمك منك فيك.

الحاصل: ليكن هذا الشهر شهر قرءان، صيام عن الحس وطعام للنفس من مائدة القرءان الرحمانية، بفضل الله ربّ البرية. والحمد لله رب العالمين.

...

(عن توحيد العالَم في أمّة واحدة)

١-لابد من قانون. ولابد للقانون من دولة. فلابد من إيجاد دولة عالَمية تكون كل الدول الحالية بالنسبة لها كالولايات داخل الدول الحالية بالنسبة للحكومة العليا لها.

أما قولنا {لابد من قانون} فإن الإنسان الفرد يحتاج إلى أحكام لتنظيم حياته هذا ولو كان يعيش منفرداً ونوازعه المختلفة وحاجته إلى الانتظام المعيشي تفرض عليه بالضرورة وضع أحكام عملية منتظمة يسير عليها ولا يوجد إنسان إلا وله شيء من هذه الأحكام من أبسط الأمور إلى أعقدها، كأن يكون له أنواع معينة من الأطعمة وأوقات للأكل وكيفية غسل جسمه ومتى ينام ويستيقظ ونحو ذلك ولا يخلو إنسان بشكل عام من مثل هذه. هذا بالنسبة للفرد. فمن باب أولى أن يكون لمجموعة الأفراد نوع من الأحكام لتنتظم معيشتهم وتُحَلّ على أساسها خلافاتهم التي لابد وأن تحدث لا محالة ولو كانا من الأحباب والأصدقاء والأقارب بالدم

وبالفهم. لذلك لا تخلو دولة حالية من قانون. لا حاجة لمزيد من التنبيه على ضرورة القانون فهو أمر مفروغ منه وكل الدول الحالية مبنية على هذا، ولا توجد لا دولة ولا ولاية ولا مؤسسة ولا شركة ولا حتى عائلة إلا ولها نوع من القانون تسير عليه وتفصل الخلافات بناء عليه. ومقالتنا هذه عن الواقع وليست فلسفةً تجريدية غير عملية فإن توحيد العالَم قصد واقعي مبني على الوضع السياسي للبشرية كما هو وليس كما يشتهي البعض أن يكون بغير واقعية.

وأما قولنا {لابد للقانون من دولة} فإن القاعدة إن لم تكن إلزامية لم تكن قانوناً بالمعنى الذي نشير إليه هنا، بل لابد من أن تكون إلزامية في نهاية التحليل حتى يصح السير عليها وفصل الخلافات بها، فإن الأطراف المتنازعة أو الأفراد إذا تمسّك كل واحد برأيه ومُراده حتى بعد التشاور والتداول فلابد من واحد من أمرين، إما الانفصال وإما وجود سلطة أعلى من الاثنين لحلّ النزاع وتوجيه الأمر، والدول الحالية وما فيها من مؤسسات تجمع الأفراد في نظام وهيكل أمري واحد كلها مبنية على الاحتمال الثاني وهو وضع سلطة أعلى ذات قرار نهائي وهي الدولة بالنسبة للأنظمة العالمية. إلزام الدولة يكون بقدرتها على ارتكاب العنف ضدّ الأفراد الذين لا يلتزمون بالقرار النهائي، كأخذ مال شخص كغرامة أو تصرّف في جسمه أو حتى إنهاء حياته. فالدولة هي الكيان الذي يملك حق التصرف جبراً بنفوس وأموال الناس. ومن هنا تختلف الدول بحسب مصدر سلطتها لارتكاب مثل هذه التصرفات الجبرية، فإن كان من الناس عموماً بالاختيار فهي الديمقراطية وإن كان بتسلّط عصابة خاصة بالإجبار فهي الديكتاتورية، ثم توجد أصناف ما بين ذلك وتقسيمات ليس هذا محلّ بسطها والمهم أن بقية الأقسام تتبع هذين القسمين. وعلى الوجهين، القانون يحتاج إلى دولة، يعني حتى لو كانت دولة جبرية ديكتاتورية أو كانت دولة اختيارية ديمقراطية.

وأما قولنا {لابد من إيجاد دولة عالمية} فالناس اليوم عددهم تقريباً ٨ مليار. تجمّعوا في ١٩٥ دولة. إذن تم إلغاء فردية مليارات من الناس لصالح تكوين ١٩٥ دولة، فهذا بحد ذاته تطور كبير للإنسانية في اتجاه السلام والانتظام في المعاش، بغض النظر عن أحوال كل دولة داخلها والمشاكل ما بين الدول. لكن لابد من مزيد من التقدّم حتى تتحوّل هذه الـ ١٩٥ دولة إلى دولة واحدة. تحويل ٨ مليار فرد إلى ١٩٥ دولة هو بحد ذاته أمر عجيب وغريب، بالرغم من أن كل دولة تتكوّن من ولايات ومناطق وبلدات وقرى وغير ذلك من التنظيمات الأصغر. فمثلاً، أمريكا دولة واحدة، لكن داخل هذه الدولة توجد ٥٠ ولاية، وداخل هذه الولايات يوجد أكثر من ٣ آلاف مقاطعة، وهكذا كل مقاطعة من هذه تنقسم إلى بلدات وهلمّ جرّاً. ونفس الأمر تجده في كل دولة من الـ١٩٥. الأصل في نشوء الدول هو التجمعات الصغيرة، يعني العائلة. ثم من العوائل القرى والبلدات، ثم تجمّع البلدات يجعلها مقاطعة، والمقاطعات تصبح ولاية، والولايات

تصبح دولة واحدة ذات نظام واحد شامل للجميع. طبعاً تختلف الدول في هذه التقسيمات ونوعية العلاقة مبين الأجزاء والكلّ، لكن الفكرة العامّة واحدة. ما نقترحه هنا هو أن تصبح الدولة الحالية هي أجزاء من نظام دولة واحدة عالمية هي الكل الذي يجمعها، كما تجمع الدولة الحالية ولايات كثيرة. فليس الأمر بمستحيل ولا غريب، كما أن جمع أكثر من ٣ آلاف مقاطعة في أمريكا إلى دولة واحدة، أو جميع آلاف من البلدات والقرى في الدول الأخرى إلى دولة واحدة، ليس غريباً ولا مستحيلاً ولا مكروهاً للنفس الإنسانية والتقدّم نحو النظام الجامع. فهذا من حيث الإمكان الواقعي لإنشاء نظام عالمي ودولة تلمّ شمل الدول كلها. وأما من حيث فائدة ذلك فهي نفس الفوائد التي تقول بها كل دولة حالية لإقناع الناس أو تبرير عملها بجمع الأفراد في عوائل والعوائل في بلدات والبلدات في مقاطعات وهكذا، بل هي بالنسبة للدول أشدّ وأكبر، لأن قوة الدولة الحالية أكبر من قوّة أي ولاية فيها كما أن قوة أي ولاية أكبر من قوة أي مقاطعة خاصة وهكذا نزولاً إلى الفرد، ومن هنا إذا تنازع فرد مع فرد فهي جريمة صغيرة لكن إذا تنازعت دولة مع دولة فهي حرب دموية كبرى وإذا تحالفت دول وتحارب مع دول أخرى متحالفة كانت حرباً عالمية كما حصل في القرن الماضي. ولا يغني شيئاً تنظيم ضعيف مثل الأمم المتحدة، وهذا معلوم للجميع، فهو غير إلزامي ومشكلته تشبه مشكلة الاتحاد الكونفدرالي في أمريكا قبل الاتحاد الفدرالي بل أشدّ، وكذلك مثل مشكلة الاتحاد الأوروبي الذي لم يصنع حكومة واحدة تجمع أوروبا كلها، بل ويشبه اتحاد بعض عصابات المخدرات الذي هو اتحاد جزئي وضعيف أو اتفاق طوعي يشبه الأناركية الفوضوية بالنسبة للأفراد والجماعات داخل الأرض الواحدة فكما أن الدول الحالية مقتنعة بأن جمع الولايات المختلفة فيها ينبغي أن يكون باتحاد حقيقي قوي ولم تقتنع بمجرد الاتفاق أو الاتحاد الضعيف، فكذلك ينبغي أن يكون الأمر على مستوى العالَم بدولة واحدة ذات اتحاد فيدرالي يجمع الدول كلها ويجعلها كالولايات للدولة الواحدة. السلام والانتظام من أهمّ فوائد ذلك. وفائدة أخرى عظيمة هي أن تصبح هوية الإنسان ليست قومية لكن إنسانية، فالآن الناس يعرّفون أنفسهم بحسب قومياتهم فهذا أمريكي وذاك مكسيكي وثالث مصري ورابع روسي، هذا بالرغم من أنهم بعد ذلك يعرّفون أنفسهم بهويات جزئية بحسب مناطقهم وعوائلهم لكنهم في نهاية المطاف يشعرون بأن الهوية الأمريكية أو المكسيكية أو المصرية أو الروسية تجمع وتوحد تلك الاختلافات وتربط بين أطياف الأمّة في اسم واحد هو "أمريكي" للأمريكان من جميع الولايات و"مصري" للمصريين من جميع الجهات. وإلى هنا توقف تقدّم البشرية، ولابد من دفعه لصنع هوية جامعة أعلى واسم رابط بين كل الناس، ولن يكون ذلك إلا بنفس ما هو عليه الوضع الآن أي بصنع دولة أعلى من جميع الدول وتكون دولة إنسانية ولا اسم لها غير ذلك لأنه لا يمكن الجمع بين مختلف الناس

في مشارق الأرض ومغاربها إلا باسم جنس الإنسانية. وهنا نكون قد وصلنا إلى ما كان ينبغي علينا أن لا نفارقه أصلاً، وهو التعيّن والتماهي في الهوية الإنسانية لا غير، لأنه في نهاية المطاف كل واحد فينا إنسان وهذه الألقاب الأخرى مزيفة ومخترعة اختراعاً قبيحاً ولا تدلّ على حقيقة نافعة، بينما الإنسانية هي الهوية الوحيدة الحقيقية لكل الناس، وهذا بديهي وعلمي وفيه نفع سياسي معاً. بالتالي، تقدّم الناس من العصبية إلى القومية لابد أن ينتهي إلى تقدّم الناس من القومية إلى الإنسانية. وكما أن الاتحاد السياسي هو الذي ثبّت العصبية في الجماعات، والاتحاد السياسي الأكبر هو الذي ثبّت القومية في العصابات، فكذلك الاتحاد السياسي الأعظم هو الذي سيثبّت الإنسانية في ما بين مختلف الدويلات.

٢-كل حدود الدول الحالية عنيفة واعتباطية وسيئة للإنسانية.

هذا أمر معلوم بالنظر في تاريخ كل دولة وواقع الدول اليوم. فلا توجد دولة رسمت حدودها إلا بالعنف والتوسع وتدافع عليه بالعنف ولا يزال يوجد نزاع على الحدود وسوء جوار في مناطق متعددة. وهذا يعني أنه إن اضطرّ سعاة الدولة العالمية الإنسانية إلى استخدام العنف للجمع بين الدول في دولة واحدة، فهذا لن يكون إلا مثل ما قام به مؤسسو هذه الدول الحالية لتأسيس دولتهم والجمع بين الناس فيها ورسم حدّهم الفاصل لهم عن مَن حولهم، وما قام على شيء تغيّر بمثله.

ثم هي حدود اعتباطية. لا عقل فيها ولا حكمة ولا إرادة غير اللهم قدرة أصحاب الدولة على إجبار مَن تحتهم على الخضوع لهم أو قبولهم بالإقناع وهو الأندر مع إجبار غيرهم على التوقف عند حدودهم والاعتراف بهم. فالأمر كله قائم أساساً على القوة العنيفة، والاعتباطية مرتبطة بكل ما قام على القوة فقط. وبناء على ذلك، لا توجد أي حجّة لأصحاب أي دولة رافضة للانضمام إلى الدولة الإنسانية العالمية من حيث قولهم بأن حدودهم يجب احترامها أو هي مقدّسة بشكل ما. الذي جعل الجزيرة العربية تنقسم تحت الدولة الحالية إلى ١٣ منطقة، هو الذي يمكن أن يجعل هذه الدولة كلها لتصبح "منطقة" في الدولة العالمية الجديدة. ونادراً ما يوجد أي تبرير معقول لتقسيم الدول إلى مناطق وهذه إلى محافظات وهكذا. وبالتأكيد لا يوجد بالنسبة للدولة بشكل عام. فيجب أن يزول كل احترام وهيبة أمام حدود الدول الحالية ولابد من اعتبارها كما هي في الواقع أي اعتباطية وتنظيمية إجرائية بحتة يمكن بل يتعيّن إيجاد ما هو أحسن منها.

وأما كونها حدود سيئة للإنسانية، فلما بيّناه من قبل من أنها تشيع القومية والعصبية بين الدول، وتمنع التنظيم الشامل للناس في نظام واحد بهوية إنسانية فتمنع الارتباط والشعور

بالوحدة العامّة الشاملة لكل الناس، بالإضافة إلى أنها تبرر وجود دول جبرية وديكتاتورية وتحتج لنفسها بأنها لها خصوصية وامتياز وتاريخ وشعب مخصوص لا ينفع معه إلا مثل هذا أو هو يريد هذا وهذا زور طبعاً، كذلك تصبح إمكانية الحروب بين الدول أكبر والجرائم أفظع والقدرة على الحل السلمي أقل والتطور الجماعي والتعاون على أساس الهوية المشتركة أندر أو هو معدوم عموماً.

ما سبق قد لا يغيّر حدود الدول الحالية لكنه يبرر وجوب فتح الدولة لنفسها واعتبارها مجرد ولاية في الدولة العالمية الجديدة، ولا حجّة لها إن امتنعت عن ذلك ويجوز لسعاة الدولة العالمية إجبارها على ذلك أي إجبار رأس الهرم في كل دولة والذين هم عصابة من الناس لا تساوي شيئاً بالنسبة لعدد السكان عموماً في تلك الدولة ويريدون المحافظة على نهبهم ومصالحهم الخاصة عبر اتخاذ الناس الذين تحتهم مجرّد عبيداً لهرمهم المتسلّط بالقهر عادةً أو باستعمال الخداع المعزز بعنف الدولة وهيبتها.

فتح الحدود بين الدول كما أن الحدود مفتوحة بين الولايات في الدولة الواحدة أمر نافع للإنسانية من جهات كثيرة، منها حرية الحركة في الأرض وهو حقّ إنساني أصيل فإن الأرض لكل الناس على السواء وليس لأحد حق فيها أكثر من الآخر فإن كل مَن على الأرض اليوم جاءوا قبل بضعة سنوات أطفال عرايا وسيذهبون بعد سنوات إلى المقابر عرايا، فليس لأحد حق أصيل لا بخلق الأرض ولا بامتلاكها، والكل سواسية في هذا الجانب. ثم التعاون بين الدول تحت إشراف الحكومة العليا الفيدرالية سيكون أيسر والعقبات أقلّ ومصلحة الإنسانية هي الهدف الأكبر.

٣-نماذج فاشلة للتوحيد: المَلَكية والعقيدة.

عبر التاريخ المعروف كله، وإلى اليوم، وضع الناس نماذج فاشلة حاولوا فيها توحيد الناس جميعاً في دولة واحدة. ولا تزال أحلام الكثير تتعلّق بهذا ويعتقدون بأنه في المستقبل سيحصل هذا بشكل ما. وكلها نماذج فشلت ويمكن جمعها تحت نوعين أساسيين، المَلَكية والعقيدة.

أما المَلَكية، فسواء كانت عائلية أو عسكرية، فقد ظهر الكثير منها عبر التاريخ وحاولوا السعي لجعل العالم كله تحت حكم الملك الواحد، وفكرتهم أن يخضعوا خضوعاً مطلقاً للملك داخل الدولة على أمل أن يسعى بجنوده ودعاته لضم جميع أجزاء العالَم تحت حكمه. قراء التاريخ يعرفون أمثلة ذلك ولن نطوّل بذكرهم. وانتهى مصير هؤلاء إما إلى الرضا بالتملّك والسيطرة على بقعة محددة وهو الباقي إلى الآن في الأنظمة الملكية العائلية والعسكرية، وإما إلى الانحسار بل والدمار كما حدث للدولة العثمانية مثلاً ودول أوروبية استعمارية أخرى

كثيرة. يستحيل جمع الناس كلهم بالعنف الملكي، وستتآكل هذه الدول من الداخل فضلاً عن هدمها من الخارج. فهذا نموذج فاشل مطلق الفشل والتاريخ كله يشهد به والواقع مثله يشهد. لذلك ينبغي على كل مَن يحلم بأن ملكاً ما سيظهر، من السماء أو من الأرض، ويعملون على صنع ملكية جديدة ستنجح بما فشلت به كل الملكيات السابقة والحالية، ينبغي على هؤلاء إلغاء هذا الوهم من عقولهم والبحث عن نموذج جديد.

أما العقيدة، فسواء كانت دينية أو ذهنية، كذلك كانت ولا زالت في نفوس الكثير من البشر أوهام تتعلّق بإمكان توحيد الناس في أمّة واحدة بناء على العقيدة الصحيحة والذهنية. وهذا لم يحدث في الماضي حتى حين كان أهمّ أصحاب بل أصحاب العقيدة أنفسهم على الأرض ولن يحدث الآن ولا في المستقبل، بل كل تلك الجماعات العقدية لم تستطع أن تمنع الانشقاقات والتحزبات داخل فرقتهم نفسها، فضلاً عن قدرتهم على ضمّ البشرية كلها على اختلافها تحتها. فهذا أيضاً نموذج فاشل فشلاً ذريعاً وأوهام توحيد الناس تحت دين واحد أو مذهب واحد أو عقيدة واحدة كلها باءت بالفشل وأوّل فشلها جاء من أصحابها أنفسهم فضلاً عن غيرهم. فهذا الأمر أيضاً منتهي. ولابد على هؤلاء الكفّ عن اعتبار العقيدة الدينية والذهنية الخاصة كالماركسية مثلاً وسيلة لجمع الناس في دولة واحدة، ولابد من البحث عن نموذج جديد.

٤-النموذج الجديد: الديمقراطية العالية.

الديمقراطية هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجمع مختلف أصناف الناس، كما هو مشهود اليوم في الدول الديمقراطية التي تحافظ على فردية الفرد وتميّز الجماعات العرقية واللغوية والدينية والسياسية مع التوحيد بينهم في النظام السياسي العام المسالم والذي يعطي للمجتمع فرصة التصويت على الأمور مع حفظ حقوق وحريات أساسية بعيدة عن تدخّل الدولة والأفراد معاً. فالنظام الديمقراطي مع كل عيوبه هو أحسن ما يمكن للبشرية إيجاده والعمل به. ولعل أهم عيوب الديمقراطية يرجع ليس إلى الديمقراطية، بل يرجع إلى أن الناس لا يفهمون ويعملون بما فيه الكفاية بالفكرة الديمقراطية، بسبب وجود أوهام الملكية والعقيدة لديهم، أو بسبب عدم مشاركتهم في العملية الديمقراطية بناء على نظريات تآمر باطلة جزماً وغير ذلك من أوهام. الفكرة الديمقراطية بسيطة وواضحة، مبنية على الفرد والمساواة بين الأفراد في الصوت السياسي، مع حفظ أهمّ مميزات الفرد له وحريته في التعبير عن نفسه والمشاركة في صنع قرارات مجتمعه. لا يوجد في الديمقراطية وجوب الاعتقاد بملك واحد أيا كان، ولا قهر النفس للخضوع والخنوع، ولا محق المميزات الفردية والجماعية، ولا وجوب الاعتقاد بعقيدة ما وراء الطبيعة ولا بفكرة فلسفية محددة خاصة كنظريات المنظّرين الصعبة

والمستصعبة والتي يختلف فيها أصحابها قبل غيرهم. كلنا يمارس الديمقراطية في جوهرها مع أهلنا وأصحابنا حين نختار حتى أبسط شيء في يومنا، مثل اختيار المطعم الذي نذهب إليه أو كيف ننظم بيتنا وندفع فواتيرنا بناء على الاتفاق. طبعاً يتعقد الأمر كلما تعقّد النظام، لكن الفكرة الجوهرية واحدة. وهي الفكرة الوحيدة التي أثبتت أنها كلما ظهرت كلما نفعت، وكلما انحسرت كلما دخل الناس في الإشكالات بل المعضلات بل الهلكات.

إذن يكفي لجعل الديمقراطية العالمية هي الفكرة الجديدة لجمع الأقوام والأمم فيها بدلاً من الملكية أو العقيدة، وبدلاً من اليأس من إيجاد اتحاد أعظم لـ ١٩٥ وهو أمر أيسر من إيجاد اتحاد لثلاثة آلاف مقاطعة في دولة واحدة من ناحية العدد على الأقلّ، فيكفي لجعلها هي الفكرة الموجهة الجديدة للناس على مستوى العالم أنها الفكرة الوحيدة التي أثبتت جدواها في الجمع السلمي مع حفظ الحريات الفردية داخل الدولة الواحدة فمن جهة، من جهة أخرى هي الفكرة الجديدة التي لم تطبّق بعد على مستوى العالَم بينما الملكية والعقيدة واليأس من التوحيد كلها تم تطبيقها ولا تزال تطبّق إلى اليوم وهي أفكار فاشلة جزماً ويقيناً باليقين العقلي والحسّي معاً.

٥-كيف يبدأ إنشاء الديمقراطية العالمية؟

رأيي هو التالي: لابد من البدء بتوحيد القارّة الأمريكية، بقيادة الدولة الأمريكية وبعث العمل منها. السبب هو أن القارّة الأمريكية منفصلة عن بقية القارات، وَباستثناء كندا التي لها ارتباط ضعيف بالملكية البريطانية والذي تستطيع فكّه بكل يسر بدون أن تتأثّر في شيء كما فكّت جزر كاريبية صغيرة قبل أشهر ارتباطها بالملكية البريطانية ولم يحدث لها شيء ولن تحدث حروب انجليزية لجبر كندا مثلاً على البقاء تابعة للملكية البريطانية فهذا مستحيل من جمع الوجوه، فباستثناء كندا الذي هذا حاله والمرتبطة بخيط رفيع جداً بالملكية مع كونها ديقمراطية حتى النخاع من بقية الوجوه، بقية الدول في القارة الأمريكية كلها ديمقراطية لا تعرف ملكية لا عائلية ولا عسكرية، مع تفاوت طبعاً بينها في هذا ومع وجود إشكالات في بعض الدول خصوصاً في ما تحت المكسيك. فأنقى منطقة على الأرض اليوم من حيث مبدأ الديمقراطية والجامعة في ذاتها لأصناف الأمم كلهم إذ التعددية عالية في كندا وأمريكا والمكسيك فما دونها وفيهم من كل دول الأرض بل أصلاً سكان هذه الدول هم خليط من جميع دول الأرض وقارات آسيا وأوروبا وأفريقيا. فإذا كانت حركة توحيد العالَم في دولة ديمقراطية واحدة ممكنة فلابد من إثبات ذلك أولاً في القارة الأمريكية من كندا إلى البرازيل، والتي تضمّ ٣٥ دولة، أكبرها أمريكا والبرازيل.

ثم أمر ثاني، هو أن اللغات الثلاثة الكبرى في القارة كلها هي الانجليزية والاسبانية والبرتغالية، وتوجد لغات أقليات بعد ذلك، وهذا عدد معقول جداً ويمكن إنشاء نظام عام يراعي هذه اللغات الثلاثة بشكل رئيس بسهولة نسبية، خلافاً مثلاً للاتحاد الضعيف الواهي الأوروبي الذي فيه لغات كثيرة جداً وكل دولة منها لها لغتها الخاصة تقريباً. المنطقة الوحيدة التي تنافس القارة الأمريكية في وحدة اللغة هي المنطقة العربية والبلدان الإسلامية حسب السكان فإن العربية يمكن أن تكون لغة تجمع الناس من أندونيسيا إلى المغرب بحكم كونها لغة الإسلام، لكن لا تكفي اللغة لتوحيد أحد فإن الملكيات والعقيدة في هذه الدول لا تزال هي المبدأ الحاكم وهذا مبدأ مفرّق لا مجمّع ومبدد لا موحّد.

عامل ثالث هو الدين، فإن الدين في القارة الأمريكية غير مؤسسي بشكل عام، يعني لا توجد سلطة سياسية للأديان في هذه القارة. وهذا أمر عظيم ونافع جداً للتوحيد. خلافاً مثلاً للدول التي فيها ديمقراطية من جهة لكن فيها ملكيات محدودة وللدولة دين رسمي كما في القارات الأخرى.

عامل رابع هو الحرب، فإنه لا تكاد توجد أحقاد الحروب في القارة الأمريكية، نعم توجد بعض الأمور حدثت في الماضي كما بين أمريكا وكندا حيث حاولت أمريكا احتلال كندا مرّتين وكما بين أمريكا والمكسيك حيث وصلت أمريكا إلى عاصمة المكسيك في القرن التاسع عشر في الحرب المعروفة التي أسفرت عن صيرورة كاليفورنيا وغيرها أراضي أمريكية، وكذلك بعض الأمور الأخرى التي مهما كانت سيئة فإنها لا تبلغ شيئاً بالنسبة للأحقاد العريقة الراسخة ما بين الدول الأخرى في العالَم بشكل عام، خصوصاً الكبرى منها. فأحقاد الحروب أقلّ بكثير في القارة الأمريكية، والتعاون الآن قائم مثلاً ما بين أمريكا وكندا والمكسيك وبينهم اتفاقات تجارية مهمة وصلات عميقة بالرغم من تلك الأحداث العنيفة الماضية.

هذه بعض الإشارات إلى أهمّ ما يجعل القارة الأمريكية هي مسرح تطبيق الخطوة القادمة لتقدّم الإنسانية. فإن نجحت القارة الأمريكية، فهناك أمل للإنسانية. وإن فشلت الآن فسيستمر الحال على ما هو عليه ولا ندري ما الذي يمكن أن يوحّد الناس بعد ذلك ويأخذ بيد الـ١٩٥ دولة إلى الدرجة الأعلى من التوحيد السياسي.

ثم أرى لهذا الأمر فوائد جمّة على مستوى القارة الأمريكية ذاتها غير تقدّم الإنسانية في السياسة والكرامة. منها فائدة القوّة العظمى الاقتصادية والسياسية على مستوى العالَم، فإن توحيد الـ٣٥ دولة الأمريكية في نظام واحد جامع، يعني أنه لن يوجد مثيل لها في الأرض، فإذا كانت أمريكا وحدها لها الصدارة في الأرض اليوم وهي منفردة فما ظنّك إذا انضمّ إليها بقية الـ٣٤ دولة والتي من ضمنها كندا والمكسيك والبرازيل التي كل واحدة منها لها ثقلها.

فائدة أخرى، سيتم إنهاء الخلافات وشفاء الجروح والحلّ أثر الصدمات القديمة على نفسيات الكثير من شعوب هذه المنطقة خصوصاً في أمريكا اللاتينية والذين عانوا ما عانوه بسبب الاستعمار والاستحقار والاستضعاف، فهؤلاء كانت لهم حضارة عظيمة وهوية عالية تدمّرت بسبب الاستعمار الأوروبي فصاروا يشعرون بأزمة هوية جارحة لا تزال مستمرة إلى اليوم، فإذا حصل التوحيد السياسي الذي ندعو إليه فستوجد حضارة أعظم ورسالة أكبر لهذه القارة يشارك فيها جميع أعضائها بدلاً من الانزواء العدمي والعيش الفارغ على مستوى تقدّم الحضارة الذي يعيشه الكثير منهم في هذه اللحظة. ومنها فائدة تحوّل الكثير جداً من مناطق القارة إلى وجهات سياحية آمنة بدلاً من الوضع الحاصل الآن والذي بسبب الكثير من المشاكل السياسية ونفوذ العصابات تشوهت سمعتهم وخافهم الكثير من الناس، فإن الدولة الجديدة الجامعة ستمكّن من حلّ هذه المشاكل بالكلية أو إلى حد كبير جداً يجعل أثرها ليس بذاك الخطر على الاقتصاد والسياحة والسمعة السياسية.

حسناً، كيف سيبدأ التوحيد؟ ينبغي أن يبدأ بقيادة أمريكا، لأنها الأقوى والأثرى والأكثر عراقة ورسوخاً في الديمقراطية وبُعداً عن الملكية والعقيدة وفيها النظام والتعددية بأعلى درجة على أصعدة كثيرة جداً، والأهمّ من كل ذلك هو أن مشروع توحيد العالَم يحتاج إلى قوّة ضاربة وأمريكا تملك أكثر من ٧٠٠ منطقة عسكرية تخصّها موزعة في بلدان العالَم، وهذا ما يجعل قوّتها العسكرية تشبه قوّة الدولة الواحدة فيما بين ولاياتها حتى تجمعها وتضبطها وتستطيع حلّ أمورها، فلا كندا ولا المكسيك ولا ما دونهما من باب أولى لديه هذا الإيمان بالحرية داخلاً والتوسع الديمقراطي مع النظام الفيدرالي القوي والضابط للأوضاع مع الرسوخ في حرية التعبير والفردية، وبالتأكيد ولا واحد من هؤلاء لديه القوة العسكرية الضرورية لحمل رسالة تقدّم الإنسانية السياسي على مستوى العالَم. فبغض النظر عن الماضي، ما نتحدّث عنه الآن هو أمر مستقبلي جديد، أسسه موجودة في أمريكا، لكن تفعيله لا يزال أمراً غير حاصل. فلا يقال "لكن أمريكا فعلت وفعلت" في الماضي، فكلامنا عن المستقبل، وما حدث في الماضي هو الذي جعل بالإمكان لأمريكا أن تنشر أكثر جيشها في أكثر من ٧٠٠ منطقة في الأرض، والذي هو البداية المحتملة لإنشاء الجمهورية الديمقراطية العالمية.

فكما أراه، لابد من أن تبدأ أمريكا بضمّ المكسيك وكندا، ثم جعل المكسيك وجه العملية التوحيدية في باقي دول أمريكا اللاتينية، ثم حين تتحد القارة الأمريكية فيدرالياً لفترة. يتم الانتقال إلى الخطوة الثانية التي هي جذب أكبر عدد ممكن من دول قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا إلى الاتحاد الأمريكي الأعلى، جذبهم بالسلم وطوعاً. ثم بعد فترة وحين يتبيّن أنه لا توجد دول أخرى تريد طوعاً الدخول في الاتحاد العالمي الديمقراطي، تبدأ فترة الحرب لكسر

رؤوس سلطات تلك الدول المعادية لتقدّم الإنسانية سياسياً، ولن تكون هذه الدول إلا دول عنيفة قاهرة لشعوبها حتماً وإن لم تكن كذلك فهي دول قامت حدودها على العنف والاعتباط كما بينا من قبل، وبهذين الوجهين يكون من حقّ الاتحاد الأمريكي العالمي إعلان الحرب عليهم لتغيير حكومتهم الحالية واستبدالها بنخبة من نفس تلك الأمّة لكن ممن هاجر إلى القارة الأمريكية.

فلابد من إنشاء معاهد خاصة لتدريب وإنشاء جيل من الحكام لجميع تلك الدول الرافضة للانضمام الطوعي للدولة العالمية الجديدة. ويتم إنشاء حكومة ذات هيكل وتنظيم وهي في المهجر بعد. ثم لمّا يتم إزالة رأس السلطة في الدول المعادية يتم وضع هذه الحكومة محلّها كبديل حتى لا تنفلت الأوضاع وتنضبط الأمور، فلا يتم وضع إلا أناس من نفس عرق وقومية تلك الأمّة ويتم تشكيل الحكومة بنحو تمثّل فيه جميع أطياف الأغلبية في الدولة المعادية حتى تمثّل الناس ولا تكون غريبة عنهم، ثم بعد فترة من نشر مؤسسات الديمقراطية في تلك الدولة يتم إعلان الانتخابات العامّة وتصبح الحكومة التي جاءت من المهجر مجرّد حزب سياسي مثل بقية الأحزاب ويجب تركها ولو خسرت الانتخابات الحرة النزيهة، مع صيرورة تلك الدولة جزءاً في الاتحاد العالمي الفيدرالي للدول كلها.

الخلاصة: الدولة الأمريكية هي قلب الدولة العالمية الجديدة، فمنها البداية. ثم سيأتي دور المكسيك وكندا. ثم سيأتي دور بقية دول أمريكا اللاتينية بدءاً من البرازيل. فإن اتحدت القارة الأمريكية باتحاد فيدرالي ديمقراطي، ستصبح أقوى دولة قائمة على الحرية والاختيار في الأرض بل في التاريخ كله. هذه الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية الضمّ السلمي للدول الراغبة في الانضمام للدولة الجديدة وتحوّلها إلى ولاية في الدولة الجديدة.

الخطوة الثالثة والأخيرة الضمّ القهري للدول غير الراغبة بالانضمام عبر إزالة حكوماتها الرافضة ووضع حكومة من نفس القوم من الديمقراطيين حتى يتم بثّ الفكرة الديمقراطية وتفعيلها في تلك الدولة.

ويمكن تسمية هذا الاتحاد الأعظم بالأمّة. فالأمّة الإنسانية مكوّنة من الدول الحالية، والدول الحالية مكونة من ولايات، وهكذا نزولاً إلى الفرد. فالفرد بداية الأمّة، والأمّية نهاية اجتماع الناس في وحدة عليا.

صيرورة الناس أمّة واحدة عبر الوسيلة الاختيارية الديمقراطية القانونية هي الدرجة القادمة في تطور الإنسانية.

...

هذا هو المذهب المادّي الطبيعي الحقيقي الخالص:

أنت جسم. والجسم له وظيفتان أساسيتان في الطبيعة، والثالثة وظيفة تابعة. الوظيفة الأولى التنفّس، فأنت تأخذ الهواء وتعطي الهواء، وبهذا تنفع الأشجار التي تتنفّس منك ثاني أكسيد الكربون وتأخذ أنت منها الأكسجين، هذه الدورة الطبيعية الأولى التي أنت وسيلتها. الوظيفة الثانية الإطعام، فأنت تأخذ الطعام من الأرض وتُعطي عبر البول والبراز الطعام أي السماد للأرض، فأنت تنتفع بغذاء الأرض وتنفع الأرض بالغذاء، هذه الدورة الطبيعية الثانية التي أنت وسيلتها. هذا هو الأساس لا غير. الباقي حواشي عملية التنفس والإطعام هاتين. ثم الوظيفة الثالثة هي التناسل، فكما أنك نشأت من الأرض وسترجع فيها بالموت، فكذلك جُعلت فيك قوة توليد مثلك حتى يبقى المتنفسون والمطعمون في الطبيعة. والسلام. لا يوجد شيء غير هذا بالنسبة للإنسان الطبيعي البحت.

الواقع أنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يعيش عادةً بحسب مقتضى المذهب الطبيعي البحت. فكل ما سوى التنفس والطعام والتناسل لا معنى له بحال، اللهم إلا أن يكون مجرد وسائل تخدم استمرار التنفس بأكبر قدر ممكن وصناعة سماد لإطعام الأرض بأكبر قدر ممكن حسن مع التناسل لاستمرار ذلك كله. فالإنسان بالنسبة للطبيعة مجرّد آلة لتوليد نوعية معينة من الهواء ونوعية معينة من الخراء. هذه خلاصة "غاية حياة" الإنسان بالنسبة للطبيعة البحتة.

...

هذا هو المذهب الروحي النبوي الحقيقي الخالص:

أنت وعي، يسافر من الكثرة الجسمانية إلى الثنائية النفسانية إلى الوحدة النسبية الروحانية إلى الوحدة المطلقة الإلهية.

فالجسم عالَم الكثرة، لكثرة الذوات وتعدد الصفات فيه، "من كل الثمرات". والنفس عالَم الثنائية، لأنه عالَم ليس فيه إلا الظلمات والنور، "وجعل الظلمات والنور". والروح عالَم الوحدة النسبية، وحدة من حيث أن الروح واحد وهو من "أمر ربي" والأمر واحد وربي واحد، لكن وحدته نسبية من حيث أن له غير وهو النفس والجسم وهو دون الرب تعالى. والله تعالى هو الواحد المطلق الحق "سبحانه هو الله الواحد القهار".

أنت الأنا الواعية التي تسافر أو تستقر في أحد درجات العالَم الثلاثة أو المتعالي الواحد. وكلما كان استقرارك عند درجة أعلى كلما كانت ما دونك تابع لك. وأخسّ وعي هو الوعي الذي يستقرّ عند المال، لأن المال ليس حتى جسمانياً بل هو خارج الجسم وهو من الدنيا، لذلك مَن استقرّ عند المال لم يتبعه شيء إذ ليس تحت الدنيا إلا العدم ولذلك العدم يلاحق مَن استقرّ وعيه عند المال. وبداية السعادة الاستقرار عند الجسم، فإن الدنيا تتبعك. فمن استقرّ عند

النفس، اتبعته الدنيا مع الجسم. ومَن استقر عند الروح، اتبعته الدنيا مع الجسم والنفس. ومَن استقرّ عند الله اتبعته الدنيا مع الجسم والنفس والروح. {وأن إلى ربّك المنتهى}.

...

قالت معترضة على الهجرة ممن يعيش في دولة عبيد لأخيها الذي بلغني كلامها له: حريتك في نفسك، وليس بالتعبير عنها خارج نفسك.

قلت: لو صدقت هذه المرأة لوجب أن تقبل بأن تكون جنينها داخل بطنها ولا تُخرجه إلى الخارج. ولو صدقت، فلماذا عبّرت هي عن نفسها بهذه الكلمة لك ولم تتركها داخل نفسها.

فقال أخوها وهو صاحبي ما حاصله: "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان" فبحر الميتافيزق وبحر الطبيعة بينهما برزخ الكلمة، والبحر الميتافيزيقي هو الماء العذب والطبيعة هي بحر الماء الملح الأجاج، والإنسان هو نبع الماء العذب في الطبيعة، بالتالي إذا لم نُخرج كلامنا من ذاك المستوى الأعلى ستصبح الحياة مالحة. والكلمة يجب أن تخرج وإلا كان ذلك مثل إبقاء التفاح عن الشجر أو إبقاء السمك في البحر.

قلت: صدقت، ومن هنا قال الله في يس {إذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله} لاحظ الرزق يأتي من الله لك فهذا عطاء عمودي، ثم الإنفاق هو أن تُخرج أنت الرزق إلى الخلق مثلك وهذا عطاء أفقي، فيجب الجمع بين الاثنين. {قال الذين كفروا} الكفر التغطية، فهؤلاء الذين يغطّون رزق الله في أنفسهم ولا يخرجونه كنا قال "يعجب الكفّار نباته" فالكافر الذي يغطي البذرة في ظلمة الأرض. {للذين ءامنوا} بالتالي الإيمان عكس الكفر فالإيمان هو الكشف والعطاء الانفتاح. {أنطعم مَن لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين}، فهؤلاء أطعموا الكلام لأنهم "قالوا" وقولهم طعام الروح، فلم يبخلوا بكلامهم هذا لكنهم بخلوا بمالهم، بالرغم من أن مشيئة الله واحدة في عالَم الروح والجسم من حيث الأصل. فلمّا فرقوا بين رزق الروح الذي هو الأقوال ورزق الجسم الذي هو الأموال تبيّن ضلالهم المبين وقسمتهم الجائرة.

قال: فهؤلاء إذن فرّقوا بين رزق الروح ورزق الجسم لأن الكلام لا ينفد فتستطيع إعطاؤه لكن المال ينفد إذا أعطيته.

قلت: الآية ردّت عليهم بحسب ما احتجّوا به، وأصحاب الآية لم يحتجّوا بالفرق بحسب النفاد ما بين الأقوال والأموال، لكنهم احتجّوا بمشيئة الله {أنطعم مَن لو يشاء الله}، فردّ عليهم بحسب دعواهم. وإلا لو قالوا بالفرق ما بين الأقوال والأموال من حيث النفاد الذي ذكرته، لجاء الرد عليهم من جهات أخرى، كما ورد في آيات أخرى تنبّه على أن الله خير الوارثين وعاقبة البخل في الآخرة وغير ذلك. لكن لعل أهمّ ما يُرّد به على هؤلاء هو أن يقال لهم: تصوروا لو كانت أمهاتكم لما ولدنكم وأنتم ضعاف عاجزين لا تملكون شيئاً ولا لبناً ولا حتى لساناً يشتكي

به لعاقل ولا قدرة على الحركة، تصور لو رمتك أمك في الصحراء وقالت "لن أطعمه من لبني ولو شاء الله لأطعمه" فهل كنت ترضى بذلك ولو حصل لما كنت الآن هنا لتقول ما تقوله، فكما أطعمك أهلك والمجتمع وحموك حين كنت عاجزاً فالآن عليك عدلاً أو شكراً وإحساناً أن تقوم بنفس الأمر لبقية الناس بحسب استطاعتك.

...

قال صاحبي ما حاصله: لاحظت في أمريكا أن الناس يقولون ما في أنفسهم حتى لو كان مصيبة أو جريمة تعرضوا لها ولو في أمور جنسية كالاغتصاب، وهم مرتاحون لذلك ولا يخافون. وهذا أمر عجيب وحسن، خلافاً لما عندنا في بلادنا حيث يخاف الناس من نشر مثل هذه "الفضائح".

قلت: بل هؤلاء قد ارتقوا حتى عن درجة الخوف. فأول درجة حسنى هي الخروج من الخوف إلى الأمن، فيأمن الإنسان على نفسه بعد تعبيره. لكن فوق الأمن درجة الشفقة، وأكثر هؤلاء الذين أشرت إليهم ليس فقط لا يتوقعون شرّاً بسبب تعبيرهم وتوقع الشرّ سبب الخوف، بل هم يتوقعون خيراً ومنه خير تحصيل شفقة الناس عليهم ورحمتهم بهم واستفادة نصيحة منهم ونحو ذلك. لكن حتى هذه الدرجة الأعلى لم يكتفوا بها، حتى إنك ستجد فيهم مَن يسعى للارتقاء درجة أعلى منها وهي درجة الإصلاح، أي أن يسعوا سعياً ثقافياً وقانونياً وعبر مؤسسات مدنية أو حكومية ليغيّروا أصل الأمر السيء الذي عانوا منه وعبّروا عنه. فالدرجات إذن أربعة، الخوف من الجحيم، وهذا هو جحيم الناس في الدول المستعبدة. ثم بداية النعيم بالصعود إلى درجة الأمن، ثم منه إلى درجة الشفقة، ثم منه إلى درجة الإصلاح وهو فردوس المجتمعات الأعلى.

...

الاهتمام يصنع عقدة، والعقدة تصنع الأحلام. لذلك انظر في أحلامك لاكتشاف عقدك، وحلل عقدك لكشف اهتمامك، وغيّر اهتمامك لتعالج نفسك.

...

سألني عن آية طالوت {إن الله مبتليكم بنهر} وقال: نهر ايش؟ الدنيا .. الخير ؟

أقول: أصل قصّة طالوت إرادة العودة إلى الديار، كما جاء في أول القصة "وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا". وبحسب تأويلك للديار ستفهم بقية القصّة. والتأويل يتعدد بحسب تعدد درجات الوجود والمعاني.

فالديار أصلها "دار السلام" التي هي وطننا النفسي الحقيقي الأصلي والأبدي. فتصبح القصّة تعبيراً رمزياً عن حركة النفس بعودتها بعد خروجها من الجنّة إلى الطبيعة، وكيف ستعود من الطبيعة إلى الجنّة. وطريق العودة هو القتال، أي الجهاد الأكبر، جهاد النفس. فتذهب إلى النبوة وتأخذ منها كلمة القتال التي هي "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وهي طالوت الجهاد الأكبر. لكن حتى تتحقق بهذه الكلمة لابد من أن تمرّ عليك ابتلاءات وامتحانات.

أول امتحان هو المحدودية العقلية، فقالوا {أنّى يكون له المُلك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤتَ سعة من المال}، وهذا يعبّر عن النفس التي تفرح بما عندها من الرأي وتعتبر رأيها أولى من الوحي، لأنها ترى رأيها نابع من شخصيتها بينما الوحي جاء من غيرها فتفضّل رأيها على الوحي، وكذلك ترى رأيها شيئاً تميل إليه لكن ترى الوحي غريباً عنها ولابد أن يكون كذلك لأنه من مستوى الربوبية نزل ومن العالَم الروحاني العرشي تنزّل لكن هؤلاء يميلون إلى ما يشبههم ويناسب أهوائهم الشخصية والسفلية. فمن انفتح عقله على الوحي تجاوز هذه المرحلة.

الامتحان الثاني هو الحواس الشهوانية. فقال طالوت {إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منّي ومَن لم يطعمه فإنه منّي إلا مَن اغترف غرفة بيده}، وهذا يعبّر عن البدء بالرياضة الروحية ومداره اعلى سدّ أبواب الحواس بأكبر قدر ممكن حتى تشتعل نار الوعي في حواس الباطن وقوى النفس الغيبية. فالنفس لها حواس، والجسم له حواس. وبينهما تضاد، لا أقلّ هكذا هو الحال في أول سلوك الإنسان. فكلما اشتغلت حواس الجسم كلما انطفأت حواس النفس، وكلما انطفأت حواس الجسم كلما اشتعلت حواس النفس. فبعد أخذ الوحي، لابد الآن من البدء بقراءته والدخول عبره إلى عوالم الملكوت الأعلى، وهذا يقتضي الصيام الحسّي ولذلك قال "شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرءان" والرمضان من الرمض وهو شدّة الحرارة وفيه معنى ظمأ الجسم ولذلك فيه الامتناع عن الشهوات والفكرة ما سبق بيانه.

الامتحان الثالث هو الاعتماد على القوّة الإلهية. {فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين}. الفريق الأول اعتمد على طاقته هو، {لا طاقة لنا}. بينما الفريق الثاني اعتمد على قوة الله {غلبت..بإذن الله والله مع}. فإن الوعي لما يخرج من ميدان الحس ويدخل ميدان النفس، سيجد النفس غارقة في الظلمة، فينظر حوله فلا يرى إلا الظلمة، لأن النفس فقيرة بذاتها غنية بربّها، لكن هؤلاء نظروا إلى فقرهم الذاتي وانحصروا فيه، "أنتم الفقراء إلى الله" لكن هؤلاء نظروا إلى "أنتم الفقراء" فقط فقالوا {لا طاقة لنا}. بينما الفريق الثاني نظر إلى قوة الله واعتمد عليه وتوكّل عليه فصبر على أمر الله وانتظر الفرج منه.

الامتحان الرابع الصدق في الأدعية. {فلما برزوا لجالوت وجنوده قالوا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.} فبالبدعاء يفتح الله برحمته أبواب السماء فترجع النفس المستنيرة إلى دارها. "يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربّك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنّتي".

هذه إذن الخلاصة. كلمة التوحيد التي أكمل تعبير عنها هو القرءان كله "إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد"، والتي خلاصتها "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، هذا طالوت النفس الساعية للرجوع إلى دارها. فإذا أخذت القرءان، لابد من الصيام. وإذا صمت فاعتمد على الله، وجسّد اعتمادك بالصبر وبالدعاء. وحينها {فهزموهم بإذن الله} وسيجعلك داوداً خليفة {وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء} وهذه نِعَم الجنّة دارك الأصلية.

...

قال: سؤال اريد جواب مختصر عليه او دلني على مكان الگة الجواب بي هل التطور يتعارض مع الدين؟ واعتذر عن الازعاج.

قلت: لا لأن التطور نظرية عن الجسم لكن الدين نظرية عن النفس.

قال: مو الاسلام يقول ان الانسان خلق من طين؟ وهلشي يخالف التطور.

قلت: قلت تريد جواب مختصر.

قال: جاوب على هلسؤال بس. هل يتم تأويل وتفسير الدين ليواكب كل النظريات مو؟

قلت: لا.

ملحوظة: كنت على وشك أن لا أجيبه حين رأيت سوء أدبه فذكّرني هذا السائل بسوء أدبه سوء أدب بعض أجلاف الأعراب حين كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيف كان يرحمهم ويجيبهم فأجبته.

...

أرسلت لي كلاماً لشخص يذكر فيه أنه لابد أولاً من عبادة الشيطان ثم معرفته ثم قتله ثم معرفة الله، وقالت: اي رايك في الكلام دا ؟!

قلت: "الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" "الله نور". هذا يتحدث عن مرحلة "من الظلمات".

قالت: هو بالبدايه والنهايه كله من الله.

قلت: نعم، البداية من وراء حجاب الخلق والنهاية في عين حجاب الخلق "إلى ربها ناظرة".

...

قال: ما هو الصيام وما هو حكمه.
قلت: هو إغلاق الحس لفتح باب نور النفس وحكمه واجب على مَن يريد الخير لنفسه.
...
ذكرت عائشة لي ثلاث آيات فيها ذكر الذين هادوا والنصارى والصابئون والمجوس، والتي في اثنين منها لا يوجد ذكر للمجوس. وقالت: بناءً على تقسيمة سورة التوحيد، ليش برأيك تم استثناء المجوس من الآيتين الاولى والثانية دونًا عن بقية الفرق؟
[الآية الأولى "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".
الآية الثانية "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون".
الآية الثالثة "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد"]

فقلت: الآية الأولى والثانية تضمنت الوعد بالنجاة، وذكرت الفرق الثلاثة على أنها مؤمنة بالله واليوم الآخر وعملت صالحاً، لذلك خرج منها المجوس، لأن المجوسي لا يؤمن بالله أصلاً من حيث أنه يعتقد بوجود شيء يساوي الله في الألوهية ويضاده في الصفة ، يعني يعتقد بوجود مكافيء لله، وهذا يجعله إما خارج عن النجاة وإما خارج عن الإيمان بالله، وإما أن احتمالية نجاته ضئيلة جداً فلا يستحق الوعد الاستثنائي المذكور هنا. فاليهود يحتمل دينهم وجود مؤمن بالله والآخرة والعمل الصالح ويحتمل غير ذلك. وكذلك النصراني والصابئي. لكن يبدو أن المجوسي لا يحتمل من حيث هو مجوسي إلا أن يعتقد بإله مكافيء لله تعالى، لأنه إن لم يعتقد ذلك لم يعد مجوسياً أصلاً.
إلا أنه يمكن الرد على ذلك بأن المجوسي يعتقد بإله ظلام ويحصر الله في ألوهية النور، بالتالي أعطى الله حقه من الإيمان ب"الله نور السموات والأرض"، لكنه غلط باعتقاده بإله الظلمة. فقد يشفع له هذا عند الرحمن يوم الدين. لكن لأنه قريب جداً من الشرك الصريح بل هو واقع فيه من جهة تثنية الألوهية في ذاتين منفصلتين، فخرج عن اليهود والنصارى والصابئين الذين لا يعتقدون عادةً بإله يكافيء الله من حيث تعدد ذات الألوهية وإن كانوا يشيعون معنى الألوهية في أشخاص بطرق مختلفة كالبنوة.
في مقدمة كتابه "حكمة الإشراق"، بيّن السهروردي رحمه الله أن المجوس اسم لطائفة من كفار الفرس، ولا ينطبق هذا على الزرادشتيين عموماً. وقال ما حاصله: المجوس لم يفهموا

معنى مبدأ النور ومبدأ الظلمة. الحق أن معناه هو واجب الوجود وممكن الوجود. يعني الوجود ينقسم إلى واجب بذاته هو الله وهو النور، وإلى ممكن بذاته وهو المخلوق الفقير وهو الظلمة. لكن المجوس أساؤوا فهم هذا واعتقدوا بتكافؤ إله النور والظلمة. وكفروا بذلك. وهذا عندي مثل الذين لا يفهمون الأمثال من هذه الأمة فيكفرون، كالوهابي الذي يقرأ "ءأمنتم مَن في السماء" فيعتقد أن الحق جل وعلا محدود في السماء. أو "على العرش استوى" فيجل العرش حداً لله سبحانه.

أما علاقتها بسورة الإخلاص، فلا أرى علاقة هنا.

...

(عن حلّية كل الطعام وأفضلية الطعام النباتي)

الفصل الأول: الاستدلال لحلّية كل الطعام.

١-اليقين لا يزول بالشك، وما دخله الاحتمال بطل به الاستدلال. بناء على هاتين القاعدتين، وهما من القواعد العقلية العملية، يكون تحريم أي طعام في الأرض بناء على أنه تحريم إلهي أمر يدخله بأصل الموضوع شكّ أو احتمال ولو بدرجة ما من حيث أن قضية التحريم ليست حسّية مشتركة بين جميع الناس، ومن حيث ورود الشك أو الاحتمال على نقل أي نصّ ديني ولو بنسبة واحد من ألف أو ورود شك واحتمال على فهم النصّ الديني على فرض تسليم نقله ولو من باب كون النصّ المحرّم يقيناً لطعام ما مخصص في نفس الأمر بظروف تاريخية أو اجتماعية أو له تأويل باطني يلغي ظاهره كما يقول البعض. فلكل ذلك،

٢-في القرءان آيات تثبت جزماً كأصل عام حلّية كل الطعام وكل ما في الأرض، مثل "كل الطعام كان حِلّاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه"، ومثل "سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه".

ثم توجد آيات تبيّن أن التحريم يتعلّق بظرف خاص بقوم بأعيانهم، كما قال "وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر..ذلك جزيناهم ببغيهم" وقال في أخرى "وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" وفي هذه إثبات أن تحريم طعام على إنسان هو ظلم له لكن الآية تبيّن أن مصدر هذا الظلم لم يكن الله بل هم ظلموا أنفسهم بالتالي هو ظلم على الحالتين وهذا مما يشدد ميلنا نحو عدم التحريم. ويزيد التشديد أن التحريم أمر مرفوض من قبيل "لم تحرّم ما أحلّ الله لك" وقوله "لا تقولوا لما تصف ألسنتكم

الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب" فحيث ثبت أن الأصل تسخير كل ما في الأرض وكل الطعام كان حلاًّ فمَن جاء بعد ذلك وادعى تحريماً فإنه يرتكب أمراً خطيراً بل مهلكاً إن لم يكن بحق يقيني من كل وجه كما أن الحلّية ثابتة عقلاً وعملاً وبأصول القرءان أيضاً. قال النبي لقومه "هلمّ شهداؤكم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا"، فحتى يثبت تحريم لابد من الإتيان بشاهد يشهد أن "الله حرّم" وهذا أمر أعلى من حيث حرفيته من مجرّد نقل نصّ، بالتالي لابد من اتخاذ معايير أشدّ في باب التحريم من أي أمر آخر كما هو الحال في باب الدماء والعدوان على النفوس والأموال.

بالتالي، الأصل حلّية كل الطعام، والتحريم إن ثبت نقلاً وتفسيراً، فلابد من إثبات أنه غير مختصّ بظرف خاص يزول بزواله أو يتعلّق بشرط مخصوص ينعدم بعدمه، وكذلك لابد من إثبات أنه ليس له تأويلاً باطنياً هو المقصود منه دون ظاهره الطبيعي. فلابد من ستّة شروط إذن لإثبات تحريم أي طعام: شرط أن الله مصدره، وشرط ثبوت نقل نصّه، وشرط ثبوت تفسيره، وشرط انعدام مخصص له، وشرط قصد ظاهره، والشرط الأكبر الجامع للكل هو ثبوت كل ذلك بيقين لا شك فيه ولا احتمال يدخله.

٣-قوله {إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به} هو الآية الأصلية في التحريم، وأما آيات من قبيل المنخنقة والموقوذة فهي أصناف للميتة فتدخل تحتها. فلننظر في هذه الآية إن شاء الله أولاً. والذي أراه فيها أنها مخصوصة بظروف شركية، وكذلك تحتمل تأويلاً باطنياً. فأنا أشهد أن القرءان من الله لأني سمعت حقيقته من الله، وأعتقد بثبوت نقل نصوصه بالنظر العقلي التاريخي، لكن مَن لم يثبت عنده ذلك بمثل ذلك فيمكن أن يتوقف عند هذا الحد.

أ/ أما أنها مخصوصة بظروف شركية:

فأما الميتة فحُرّمت لأن المشركين من قوم النبي كانوا يعتقدون بأن الميتة قتلها الله، ويعتبرون الذبيحة قتل الإنسان بينما الميتة قتل الله، وهذا فرع عقيدة الجبر الشركية كما قالوا "لو شاء الله ما أشركنا..ولا حرّمنا".

وأما الدم فحرُّم لأن من المشركين مَن يعتقدون بأن الدم هو الروح والنفس بمعنى أنهم مجسّمة مادية لا يعتقدون بوجود الروح والنفس المنفصلة عن الجسم ومن هنا قولهم "ءإذا ضللنا في الأرض" وأنكروا البعث لاعتقادهم بأن نفوسهم مساوية لأجسامهم فردّ عليهم في سورة السجدة بعدها "قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون"، ومن هنا قد

تجد في بعض الوثنيات شرب الدم لاعتقادهم بأنهم يضيفون إلى حياتهم حياة مَن شربوا دمه أو كما تجده عند بعضهم من أكل القلب أو غيره من الأعضاء اعتقاداً بأنهم بالتجسيم، فلكل ذلك حرّم الدم.

وأما لحم الخنزير، لأن النصارى تحديداً-وسنرى التناظر لاحقاً إن شاء الله بين النصارى ولحم الخنزير في القسم ب من هذا المقطع-كانوا يعتبرون أكل لحم الخنزير وتحليله علامة على إبطال الشريعة التوراتية بحجّة أن الإنسان يخلص دون الحاجة إلى الالتزام بالشريعة الإلهية الظاهرية وأن الخلاص بالإيمان والأخلاق، ومن هنا أباحوا الطعام كله، ليس من باب الاعتقاد بحلّية كل الطعام بتسخير الله بل من باب نقض قيمة الأحكام الإلهية والتي بدورها مبنية على اعتقادهم بأن المسيح خلّصهم بالصليب من لعنة الشريعة، وهكذا سلسلة من العقائد الكفرية والباطلة تعلّقت بأكل لحم الخنزير، فحرّم لنقض تلك العقائد، وكذلك للانفصال عن النصارى في هذا الأمر.

وأما ما أهلّ لغير الله به، فمن الواضح أنه مظهر للشرك فحرم لذلك.

بالتالي الأنواع الأربعة لا أقلّ يدخلها احتمال تحريمها لأنها مظاهر شركيات وأباطيل وعقائد فاسدة وما اختصّ به في ذلك العصر الفرق الضالة. فإذا خلصت من تلك العقائد وعادت مجرد أطعمة، فهي خارجة عن التحريم لانعدام ظرفه وشرطه وعلّته وسببه.

ب/ هذه الأنواع الأربعة {الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به} توازي قوله تعالى في الذين كدّروا التوحيد بالشركيات {الذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس}.

فالذين هادوا لهم الميتة. وهذا من حيث أنهم ممن يأكل الكلمة الميتة لقولهم {لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم} وقولهم {إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا}، فهؤلاء جمدوا على الألفاظ القديمة المتوارثة ورفضوا الكلمة الحية النبوية الجديدة. فهم يأكلون الميتة في نفوسهم بهذا الاعتبار. ومن هنا قال أبو مدين الشيخ الصوفي صاحب القرءان لمن كان يردد كلام السابقين فقط "أطعمونا لحماً طرياً لا قديداً". وفي هذا إشارة إلى قول النبي عن أمّه "كانت تأكل القديد بمكّة"، فإن تأويله أن أهل مكّة كانوا أهل لحم قديد لا اللحم الطري كما قال الله عنهم "نتبع ما ألفينا عليه آباءنا". فالطري كالحي، والقديد كالميت، بهذا الاعتبار. وبينهما فرق دقيق ولطيف، وهو أن الكلمة قد تكون قديداً لكنها حية من حيث إمكان نفخ الروح فيها وإعادة تأويلها فتصبح كالحية، بينما اللفظة القديمة والتي صاحبها يأكلها بدون أن يجد فيها عقلاً بل يرددها كالعاكفين على الأصنام اتباعاً للأولين وليس لأنه يجد فيها عقلاً وحكمةً وروحاً فتلك اللحمة من القديد الميت. فقوله تعالى {الميتة} أشدّ في الظلمة من القديد. "أومن كان ميتاً

فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها". فالميتة هي اللفظة المظلمة، المجهولة غير المعقولة، المتوهمة التي لا حقيقة لها، لا عند صاحبها ولا في نفس الأمر أو لا أقلّ ليست كذلك عند صاحبها والمعتقد بها والمتحجّر عليها. وهذا شأن الذين هادوا بشكل عام وهو خصائص مَثلهم السيء في القرءان. وهؤلاء الذين نقضوا "قل هو الله أحد"، فأنكروا "قل" الجديدة الرسولية "ما أنزل الله على بشر من شيء قل مَن أنزل التوراة".

وَالصابئون لهم الدم. لأن الصابئ الذي نقض "الله الصمد"، هؤلاء أهل تجسيم لأنهم جعلوا النور الإلهي متجسماً في الكواكب الطبيعية. وكما أن الدم غير اللحم والعظم وبقية الجسم، كذلك هؤلاء يعتقدون بأن النور الإلهي شيء مثل جنس الطبيعة وهو متداخل معها ويجري فيها كجريان الدم في الجسم، ومن هنا جعلوا الكواكب آلهة أو آلهة صغرى أو أجسام النور الإلهي ونحو ذلك من كفريات.

وَالنصارى لهم لحم الخنزير. وهذا لما سبق بيانه من جعلهم أكل لحم الخنزير الذي كان محرماً أشد التحريم في الشريعة اليهودية علامة على دخول الإنسان في الملّة الجديدة التي ابتدعوها وأرادوا الامتياز بها عن اليهود وعن النصارى المتهودين الذين بقوا يحافظون على محرمات الشريعة اليهودية، وربطوا عقائدهم بالصلب والخلاص على يد عمل شخص غيرهم وما ارتبط بتلك العقائد، ربطوها بأكل لحم الخنزير واستباحته، فلما بطلت الفكرة التي استحلوا بها الخنزير بطل استحلالهم فانعكس إلى تحريم من هذا الوجه. فالنظر إذن إلى الفكرة وليس إلى الصورة، كما أن تحريم كل ذي ظفر والحوايا وما اختلط بعظم على الذين هادوا كان جزاءً لهم {ببغيهم} ومظهر ظلمهم لأنفسهم، فهذا لا يجعل هذه المحرمات محرمة لذاتها بل هي محرمة على مَن بغى مثل بغيهم وظلم نفسه مثل ظلمهم، وهذا أيضاً يردّ على الوهم الشائع بأن محرمات الطعام في القرءان هي بسبب الأضرار الصحية الجسمانية، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجب تحريم ما اختلط بعظم على جميع الناس لأن المفروض أنه مضرّ بالصحة الجسمانية ولما ربطه الله بقوله {جزيناهم ببغيهم} وهل جزاء الباغي أن ترشده إلى مصلحته الصحية الجسمانية وجزاء غير الباغي تركه يأكل الحوايا ليضرّ بجسمه ! صدق الله "إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون". هذه تعليلات سقيمة. ثم يزيد ذلك بياناً أن ما يزعمونه من أضرار صحية في لحم الخنزير وغيره موجود مثله إن لم يكن أشدّ منه في حيوانات أخرى، والبيئة الوسخة وبعض الفضلات التي يأكلها الخنزير-وليس بالضرورة دائماً وفي كل بيئة-يوجد مثلها في بعض الأنعام المباحة عندهم كالدجاج والماعز ونحو ذلك، بل بعض الأسماك والأسماك حلال عندهم "الحلّ ميتته" إذا أكله الإنسان ليس فقط يخسر صحّته بل يخسر حياته ومع ذلك لم يأتي بيان بقائمة هذه الأسماك، وكذلك توجد قوائم طويلة عريضة من

الأمور المضرة بصحة كل الناس ولم يتعرض لها القرءان بل ولا الروايات لا من قريب ولا من بعيد، وبعضها مضرّ ببعض الناس بل قاتل وهي حلال طيب كالفول السوداني، وبعضها حلال لكن إذا خلطته ببعض قد يسبب مرضاً كما يقال كاللبن والسمك، وهلمّ جرّاً. فالذي يزعم بأن كتاب الله جاء كدليل لصحّة الجسم، فقد ادعى محالاً بل ادعى كفراً لأنه لابد من أن يعتقد بأن غير القرءان أحسن منه ولم يبيّن القرءان بما فيه الكفاية في هذا الباب بل ولا قريب من الكفاية. مع أن القرءآن يقول "فصّل لكم ما حرّم عليكم"، فنصّ على أن المحرّمات في الطعام مفصّلة في القرءان، فأين التفصيل؟ وقوله "إنما حرّم عليكم الميتة" بدأ بأداة الحصر "إنما" ولا يوجد مذهب الآن معروف مشهور في المسلمين يلتزم بمحرمات القرءان بل يزيدون عليها محرمات من خارجه وغير ما جاء فيه وينسبونه إلى النبي أو إلى قياسهم، بل ولا يتحرّج الأطباء فيهم من تحريم أطعمة مخصوصة على أشخاص بأعيانهم لظروفهم الصحية وإن كانت حلالاً بحتاً. كل هذا يدلّنا على حقيقة واحدة: القرءان لم يأتي لبيان صحّة الجسم، فهذا من أمور الدنيا التي الناس أعلم بها من الرسول وليس من مهمّة الرسول ورسالته بيانها أصلاً والذي همّه النفس والآخرة بشكل رئيس. ومن ادعى غير ذلك ورد عليه كل ما سبق، بل وسيرد عليه ما هو أشدّ. وقد اعترف بعض أذكياء شيوخهم حين أراد الهروب من الحجج الصحية هذه وهو طبيب فقال بأنه يجب طاعة أمر الله لأنه أمر الله بدون بحث الحكمة لأننا نعبد الحكيم لا الحكمة، وهذا تخلّص ظريف لكنه ضعيف، لأن الهروب بمثل هذا لا يغني من الحق شيئاً، فإن الله بيّن الحكمة من الأمور وفهمها مَن شاء، ثم إن المسلمين وفي القرءان جدال للمشركين في تحريمهم الأمور وهو كثير من قبيل ما ورد في سورة الأنعام فماذا كان سيكون الرد لو قالوا للنبي لما جادلهم بما في سورة الأنعام "هذا جدل عقلي ونحن لا نعبد عقولنا لكن نعبد آلهتنا وهي حكيمة ونحن نعبد الحكيمة لا نعبد الحكمة" وما أشبه من أمور يفرّ بها بعض شيوخ المسلمين ممن لم يرضى بشرف كلمة "لا أدري" حتى بخل على نفسه بالبحث وصار يأمر غيره بالبخل أيضاً، وجعل جهله علماً وغفلته عقلاً وضلالته ديناً يتقرب به إلى الله وفتح عينه العمياء وسمّاها عين البصيرة. ولا حول ولا قوة إلا بالله. الحاصل، النصارى لهم "لم يلد ولم يولد" في الإيمان، ولهم أكل "لحم الخنزير" في الطعام، للتناظر ما بين الفكرة والصورة، والحقيقة والطبيعة، وطعام النفس وطعام الجسم، وتبعية الثاني للأول. ومما يربط الخنزير بعقيدة الولادة الإلهية، أن الخنزير ظاهراً لا ينظر إلى السماء كذلك النصراني لا ينظر إلى الأسماء الإلهية وسمو الذات الإلهية عن ما نسبوه لها، فهم كالخنزير من هذا الوجه ينظرون إلى أرض التجسيد وتعلّقهم هو بالمتجسّد والنازل والمقيّد حصراً، ومن هنا نسبوا الولادة لله وركّزوا عينهم على أرض المسيح دون سماء رب المسيح.

وَالمجوس لهم ما أُهلّ لغير الله به. وذلك لأنهم نقضوا "لم يكن له كفواً أحد"، فاعتقدوا بوجود مكافئ لله تعالى وهو غيره ولذلك "ما أهلّ لغير الله به" مبنية على الاعتقاد بوجود ما هو غير لله أصلاً، وهي فكرة المجوس.

النتيجة: بناء على أ وَ ب، الفهم الأعمق والأقوى هو أن هذه المحرمات القرآنية لم ترد إلا على مشركين بأصنافهم المختلفة ولظروفهم الخاصة. فمن كان من الموحدين فليس عليه حرج في "طاعم يطعمه" أيا كان، طالما أنه خرج عن تلك الأفكار الباطلة والعقائد الشركية. ومن هنا ربطت بعض آيات ذكر التحريم علّة ذلك بأنه "رجس أو فسقاً أُهلّ لغير الله به"، فهذا تعليل الله لحكمه لا تخترعوا تعليلات غير تعليلات من قبيل "رجس أو فسقاً أُهلّ لغير الله به" على اختلاف فهم ألوان هذا الرجس والفسق كما سبق بيانه مثلاً. والرجس يتعلّق بالمشركين والكافرين "وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون"، فالرجس يتعلْق بعدم العقل وبعدم الإيمان، وهذا مفتاح ما سبق بيانه.

يعزز ما سبق ما قال الله {ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا وءامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين}. زعم البعض ومن قديم الزمان أن هذه الآية مخصوصة بعدم أكل أو شرب ما هو محرّم، وردّ عليه بعض الصحابة أيضاً من ذلك الزمان. ولو كانت كما زعم الأول، لما كان في الآية فائدة حين قالت {ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، إن كان المقصود هو الطعام "الحلال" بالمعنى المشهور لذلك، فمن المعروف أنه ليس عليهم جناح في تناول ذلك، فالآية جاءت لتنفي ما لم يثبته أحد، ثم وضعت شروطاً ثلاثة فدلّت بهذه الشروط على أنه عليهم جناح فيما طعموا إن لم يقوموا بمقتضى هذه الثلاثة، فعلى تفسيرهم يصبح معنى الآية هكذا: ليس عليهم جناح إذا أكلوا الحلال بثلاثة شروط فإن لم يقوموا بالثلاثة كلها فعليهم جناح في أكل الحلال. وهذا كما ترى، وهو أشدّ حتى مما نحن بصدده، لأن الآية أوجبت ثلاثة شروط في أكل الحلال الطيب، وإلا صار على الطاعم جناح، وأين مَن يقول بهذا أو يعمل به، بل أين مَن يفهم من المسلمين أصلاً معنى هذه الشروط الثلاثة ويعمل بها وكم نسبتهم بل لعلك إذا قرأت هذه الآية على معظم المسلمين وبيّنت له ما فيها من أحكام فلعله ينظر إليك وكأنّك حدّثته بلسان أعجمي أو عن عجيبة لم تخطر بباله من قبل.

فماذا تقول الآية؟ في الآية نفي مطلق ومقيّد. فقوله {ليس على..جناح فيما طعموا} هو نفي مطلق عن الجناح أيا كان المطعوم، وهذا يشمل الأكل والشرب لأن الطعام يجمعهما. فكل ما يؤكل وكل ما يشرب بالنسبة لأحكام شريعة الله داخل هنا. أي بالنسبة لشريعة الله، وليس

بالنسبة لاختيارات الناس الطبيعية كما سيأتي إن شاء الله فهذا شأن آخر، فإن القرءان جاء لبيان أحكام الله وليس شؤون الجسم الفاني والمتغيّر والذي لكل فرد فيه من الأحكام الخاصة ما يخالف غيره فما يكون مؤذياً للبعض قد يكون ضرورياً للبعض وما يكون طيباً لبعض الأجسام والأذواق يكون سيئاً مكروهاً عند البعض الآخر فتسمية الله لبعض أنواع الطعام بأنها طيبة لا يمكن أن يكون المقصود به وصف طيبها للأجسام لأن هذا سيدلّ على أن الله تعالى الذي خلق كل شيء وهو اللطيف الخبير لا يعلم بأن بعض الأجسام قد يقيء تقززاً من مجرّد تخيّل أكل ذلك الشيء الذي سماه طيباً بل لعل مثل هذه الملاحظة وحدها كافية لمنكر القرءان للاحتجاج بأن هذا القرءآن جاء على حسب هوى صاحبه ونظرته الضيقة للأمور ومن زاويته الشخصية ولا يدلّ بمثل هذه التحيزات الواضحة التي لا ينكرها أحد على أن الله خالق كل الناس هو الذي أنزله. فالقدر الكافي من ناحية الدين هو معرفة أنه بالنسبة للطعام ما حرّمه أهل الشرك والكفر وما بنوا عليه من أفكار هو المرفوض. هنا يأتي التقييد. فإنه قال {على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات} فجمع بين الإيمان وهو تصرف العقل وعمل الصالحات وهو تصرف الإرادة، والنفس عقل وإرادة، فجمع هنا ما بين تصرف العقل والإرادة تحديداً. فحتى على فرض أن الآية تتحدّث عن طعام الأجسام، فإن سبب الإباحة المطلقة للطعام هو الإيمان والعمل الصالح كأصل. ثم فصّل. فذكر أربعة قيود وهي: الإيمان والتقوى والإحسان وعمل الصالحات. ونستطيع هنا أن نرى الأربعة تظهر من جديد، كما ظهرت في الأنواع الأربعة الأساسية للأطعمة المحرمة، وفي المِلل الأربعة الكبرى التي خلطت بين التوحيد والشرك وأدخلت الكفر في التوحيد. فالمعنى: مَن لم تكن فيه ضلالات تلك الملل الأربعة، واشتمل على هذه الصفات الأربعة التي هي كمالات النفس، فبالنسبة له لا جناح عليه من حيث الدين وعند الله في ما يطعم.

فلماذا ذكر ثلاثة شروط {إذا ما اتقوا..وَإذا ما اتقوا..وَإذا ما اتقوا..}؟ لو كان المقصود بالآية مجرّد رفع الجناح عن أكل الحلال المتميز عن الحرام بالمعنى الشائع، لكفت واحدة من هذه الثلاثة، بل لما كان ثمّة داعي للثلاثة أصلاً لأن قوله {ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح} كفيل ببيان أن المؤمن وعامل الصالحات لن يأكل المحرمات وإلا لما كان مؤمناً أو لما كان يعمل الصالحات. فما وجه ذلك إذن؟ وجهان أساسيان. الأول ظاهري والثاني باطني. أما الظاهري فإن للإنسان مع الطعام ثلاث مراحل، قبل وأثناء وبعد، فمَن حصّل الطعام من وجه صالح وأكل بطريقة حسنة وقصد بأكله العمل الصالح فهذا لا جناح عليه لأن باعثه وأكله ومقصده صالح، أي انبعث طلباً لإقامة جسمه الذي هو مركب نفسه، وأكل ليتقوى على العلم والعبادة، ثم أنفق طاقته التي اكتسبها في الذكر والعلم. فهذا عن الظاهري. وأما.

الوجه الباطني، فإن الإنسان روح ونفس وجسم، وللروح طعام وللنفس طعام وللجسم طعام، والله تعالى "يُطعِم ولا يُطعَم"، فمن طعام الروح والعقل قول الله لآدم "يا ءادم أنبئهم بأسمائهم" فإن الإنباء إطعام العقول النورانية، ومن طعام النفس قوله تعالى "قد أفلح من زكاها" فالتزكية من إطعام النفس، وطعام الجسم معروف. فبيّنت الآية شرطاً شخصياً وشرطاً عملياً، فالشخصي {على الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات}، والعملي الثلاثة المذكورة بعدها. فمن كان هذا حاله، كان كل ما يطعمه من الطعام الروحي والنفسي والجسماني الذي تبسطه يدا الله تعالى في العالمين فهو له خير وليس عليه جناح فيه.

ومن هنا تعلم لماذا جاء النفي {ليس على..جناح} فانظر في مشارق الأرض ومغاربها وستجد الأقوام والأمم على اختلافهم يحرّمون الطعام المبسوط في العالم بشكل أو بآخر، فهذا يحرّم بعض العلوم والكتب (استمعت قبل فترة لشيخ من أهل الشام عند مرقد ابن عربي، ومن المتصوفة، ومن المؤمنين بولاية الشيخ محيي الدين ابن عربي، ومع ذلك يفتي بتحريم قراءة كتب الشيخ محيي الدين ! ولك أن تتصوّر ما الذي يحرمه الناس افتراءً على الله وظلماً للناس ويجعلون عليه جناحاً بعد ذلك) وذاك يحرّم التخلّق ببعض الأخلاق إلا على أصناف معينة من الناس وثالث يحرّم الأطعمة المختلفة أو يدعي أنه على الإنسان جناح بالنسبة لصلته بالله تعالى في حال تناولها. حتى في أكثر الدول حرية تجدهم لا يزالون يحرّمون على الناس أو يجعلون عليهم جناحاً في حال تناولوا بعض النباتات أو المشروبات أو المأكولات أو المعلومات في وقت ما ثم يحلونها في وقت آخر وهكذا. فصدق الله "لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً".

الحاصل: مَن تمسّك بحلّية كل الطعام الطبيعي، كطعام طبيعي وكرزق من رزق الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والذي خلق الإنسان مختاراً حراً في العالَم ومسؤولاً عن عمله يوم القيامة، والذي كوّن الروح وخلق الجسم وجعل النفس خالدة منفصلة عن الجسم، فمن لم يتلبّس بشيء من هذه فعند الله الأصل في طعامه أنه لا جناح عليه. وبعد ذلك عليه أن يكتسبه من حلّه فلا يسرق ولا يعتدي وكذلك يأكل بقصد العمل بأمر الله والعلم والذكر وليس كأكل الأنعام لمجرّد إشباع الشهوة ولا يسرف. فهذه كلّها أمور محيطة بالطعام، قبله وأثنائه وبعده وفوقه وتحته، لكن الطعام نفسه لا حكم له بذاته من حيث الدين. فهذه الفكرة الجوهرية، الطعام الطبيعي من حيث ذاته لا حكم له، حكمه بحسب أفكار ومقاصد طاعمه وكيفية كسبه وإنفاق طاقته. هذا هو الأصل اليقيني والأساس القوي، فمن جاء بغيره فعليه الدليل وليس أي دليل بل دليل بشدّة يقين وقوّة تمكين ما سبق. ولا يستطيعون.

الفصل الثاني: الاستدلال على أفضلية الطعام النباتي.

١-الأفضلية هنا المقصود بها الأفضلية من حيث جسم الإنسان والبيئة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي ستتشكّل بحسب نوعية غذاء جسم الإنسان. فكلامنا عن الجسم وفروعه كأصل، وليس على الحلال والحرام من جهة الدين فهذا قد سبق بيانه، وكذلك عن علاقة طعام الجسم بالعقل.

٢-الأفضل بالنسبة للفرد والأمّة في هذا العصر هو الطعام النباتي. وذلك لوجوه:

أ-هو الأسلم. لأن أبعد عن العنف والحاجة إلى قتل الحيوان.

ب-هو الأنظف. لأنه أبعد من تعقيدات وأوساخ الحيوانات وأمراضها وآلامها التي تنعكس في جسمها.

ج-هو الأنسب. أي للبيئة. فإن كمّية الأراضي الزراعية التي يتم تسخيرها اليوم لتربية الحيوانات بدلاً من زراعة النباتات هي كمّية لو تم تسخير ولو نصفها للإنسان لعلها تكفي مَن على الأرض أضعافاً مضاعفة، والآن يتم تسخيرها للبقر ونحو مما يؤدي إلى تلويث البيئة بنحو شديد بسبب ما يصدر عن هذه الحيوانات من غازات ونحوها.

د-هو الأرخص. فهذا يسهّل إطعام الجميع، وكذلك يسهّل للإنسان الراغب في حياة العلم والتفرغ أن لا يزداد شغله بالسعي وراء المال.

هـ-هو الأيسر. على الجسم، من حيث التناول والهضم، فإن النبات أسرع وأيسر هضماً من الحيوانات وما يخرج منها.

و-هو الأوفر. أي متوفر بسهولة نسبياً في كل مكان وخصوصاً في هذا العصر.

ز-فيه الكفاية. فإن الفاكهة والخضروات والمسكرات والبقوليات والقمحيات وبقية أصناف النباتات في مفرداتها ومجموعاتها بحسب تركيبات معروفة ما يكفي لإعطاء الجسم كل ما يحتاجه وزياده، وبنحو أقرب للصحة وأبعد عن الأمراض من المنتجات الحيوانية. والغالبية العظمى من الناس لا يحتاجون إلى ما وراء النباتات.

ح-أقرب للسلام. يعني بين الناس، فإنه ليس فيه استضعاف لحيوان مما يجعل في الناس عقيدة جواز أكل القوي للضعيف ولو على حساب آلامه وتفريقه عن جنسه وأهله. كذلك الطاقة الناتجة عن أكل النبات أكثر هدوءاً وانضباطاً في الجسم من طاقة الحيوان، وفيه نوعاً من المهدئ الطبيعي مع إمكان النشاط الواسع والقوّة والشدّة عن الحاجة العقلانية لذلك بدون أن يصبح الإنسان كالثور الهائج بسبب هرموناته الفائرة وعواطفه المتضاربة والعمياء وخصوصاً

بسبب ما يتسرب في الحيوانات بسبب ما يعانونه اليوم من أساليب قبيحة في التربية للتجارة البحتة.

ط-أصح للمجتمع. إذا نظرنا في أنواع الوباء التي انتشرت بين الناس في القرون الماضية، وأقربها لنا فيروس كورونا، سنجدها كلها ترجع إلى اختلاط الإنسان بالحيوان وأكله والتعايش بقربه، وبالأخصّ أكله. ويبدو لي أن الطواعين التي تنتشر في أجسام الناس هي نوع من الانتقام الطبيعي لسوء استغلال الإنسان للحيوان بغير حق ولا ضرورة معتبرة بل لمجرّد الشهوة والتسلط والتجارة. لكن بعيداً عن الرأي البحت، من الثابت المعلوم أن أكل الإنسان للحيوان واختلاطه به تسبب في هذه الطواعين التي قتلت ملايين الناس عبر القرون. نعم ليست السبب الوحيد، لكنها من أكبر الأسباب وأهمّها، وأكثر الأمراض أيضاً راجعة إلى اتصال الإنسان بالحيوان. راجع ما تقوله المؤسسات الطبية العالمية في هذا الباب لتعرف أكثر.

ي-الأعقل. كل ما يقوله الذين يرون ضرورة أكل الحيوانات، يمكن ردّه بثلاثة أمور. إما أنه من باب التبرير الفكري للعادة والشهوة، وهذا ليس حجّة في شيء. وإما أنه تبرير بحسب مصالح الشركات والمتربحين حالياً، وهذا أيضاً ليس حجّة كالأول فإن الأول ناظر إلى الشهوة العمياء والثاني ناظر إلى الربح الأعمى، ولا ينظران إلى بقية أبعاد نظام الغذاء البشري وعلاقته بالمجتمع والطبيعة والسكينة والسعة. وتبقى حجج من قبيل "لا تستطيع تحصيل كل ضروريات الصحة من النباتات"، وهذه عليها ردود كثيرة وخلاصتها أنها حجّة باطلة. ولا تذهب بعيداً. انظر فقط إلى كمّية وكيفية ما كان يأكله الناس عموماً عبر القرون، بل حتى النبي والصحابة، وستجد أن كمّية وكيفية أكلهم قليلة وضعيفة جداً بشكل عام مقارنةً بالوفرة الحالية من النباتات بأصنافها كماً وكيفاً، فإن كانت البشرية استطاعت أن تعيش واليوم يعيش الملايين من الناس بذلك ولا يجدون ما يزعمه هؤلاء، فيكفي ذلك في الردّ المجمل. وأما الردّ المفصّل فليس هذا محلّه، ويكفي أن تجرّب بنفسك لترى أثر ذلك على صحّتك ثم تحكم لنفسك فإن هذه القضايا لا ينفع فيها فقط الكلام المجمل بل لابد من التجربة الشخصية. والعكس صحيح أيضاً، أي نستطيع أن نأتي بأمراض ومشاكل صحية كثيرة جداً يجدها آكلو الحيوان ولا يجدها آكلو النبات حصراً، من أمراض القلب وأنت نازل.

ك-الأكثر سكينةً. بالنسبة لمن يريد التفرغ القلبي والتخفف من عبء الجسم والحسّ، من أهل الذكر والفكر العالي فإنه من المعلوم ومن قديم الزمان أن من شروط الخلوة والرياضة الروحية كانت ولا زالت هي الصيام وعدم أكل "ذي روح أو ما خرج من ذي روح" يعني الأكل النباتي، فإنه أخفّ وبالتالي يقلل من ثقل الجسم وبالتالي يقلل من جذب الوعي إلى الجسم والطبيعة فيعطيه قابلية الصعود والعروج من هذا الوجه بنحو أكبر. وإذا كان الصيام صحّة

للجسم أيضاً، وهو انقطاع عن الطعام، فإن ما كان أقرب إلى الصيام كان أفضل من هذا الوجه، والنباتات أقرب إلى الصيام من الحيوان من حيث خفّة الأكل وسرعة الهضم وخلوّه من المشاعر المعقدة للحيوان المقتول وبقية الأمور المتعلقة بذلك.

ل-الأبعد عن الشبهة والتحريم. ففي القرءان مثلاً لا تجد نباتاً محرماً، لكنك تجد لأسباب كالتي ذكرناها سابقاً، حيوانات وأمور حيوانية محرمة كالميتة والدم. فالنباتات هي الرزق الأساسي للإنسان فلم يدخلها التحريم لا من قريب ولا بعيد، فهي أطهر من هذا الوجه. بينما دخل التحريم بحق وبباطل على يد البشر في الحيوانات. فمَن اقتصر على النباتات فهو الأورع والأطهر والذي أراح نفسه واستبرأ لدينه من كل وجه، ولا يتوجّه عليه اعتراض أحد كأصل.

النتيجة: مَن نظر في ما سبق من أسباب وجمعها كلها في كفّة، ثم نظر في الكفّة الأخرى التي فيها أكل الحيوانات، فلا أظن عاقلاً من المتشرعين وغير المتشرعين سيفضّل كفّة الحيوانات عليها. بل الكفّة النباتية هي الغالبة. وأقلّ ما يعمله مَن يريد صحّة جسمه وسلامة نفسه أن يكون معظم أكله نباتي، والقليل منه والنادر حيواني. وأحسن المحسنين مَن يجرّب بنفسه ويرى أثر ذلك ويراجع بعد فترة أخصائي تغذية ليزيده تبصرة.

الخاتمة: الأصل هو حلّية كل الطعام من باب الديانة، وأفضلية الطعام النباتي من باب الصحّة.

...

{إن هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}

{إن هذه أمّتكم} كثرة. {أمّة واحدة} توحيد الأمّة. هذا الجانب سياسي.

{وأنا ربّكم فاعبدون} هذا الجانب الروحاني.

...

إن أردت أن تختم القرءان في عشرة أيام كما كان النبي يعرض القرءان على جبريل في العشر الأواخر من رمضان، فهذه طريقة لتقسيم قراءة السور:

١-اقرأ من الفاتحة وقف عند النساء.

٢-اقرأ من النساء وقف عند الأنعام.

٣-قف عند التوبة.

٤-الرعد. ٥-مريم. ٦-الشعراء. ٧-سبأ. ٨-الشورى. ٩-المجادلة. ١٠-الناس.

...

ختمة خاصّة: أن تقرأ القرءان تقريباً مرّتين في الشهر. وذلك بأن تقرأ من الفاتحة إلى الإسراء في ستّة أيام تبدأ يوم السبت وتنتهي يوم الخمس، ثم يوم الجمعة تقرأ الكهف فقط وإن قرأت الكهف مرّة في ليلة الجمعة ومرّة في نهار الجمعة يكون أفضل للجمع بين الحديثين في الاستنارة بسورة الكهف حيث ورد الحديث مرّة بالليل ومرّة بالنهار والفضل فيهما مختلف إذ في أحدهما النور يضيء طولياً إلى العرش وفي الرواية الأخرى يضيء عرضياً من الجمعة إلى الجمعة، ثم تبدأ يوم السبت التالي بالقراءة من مريم وتختم بالناس في ستّة أيام. وهذه تقسيمة السور حتى تبدأ بسورة وتختم بسورة فهذا أفضل للقراءة الكاملة والعاقلة للمواضيع وإيجاد الترابط بينها بإذن الله. وورد أيضاً أن النبي عرض القرءآن على جبريل مرّتين في آخر رمضان، وذلك حين اعتكف عشرين يوماً.

الأسبوع الأول:
١-السبت: تقرأ الفاتحة إلى البقرة أي تختم البقرة.
٢-الأحد: تقرأ آل عمران إلى آخر النساء.
٣-الاثنين: من المائدة إلى الأنعام.
٤-الثلاثاء: من الأعراف إلى التوبة.
٥-الأربعاء: من يونس إلى الرعد.
٦-الخميس: من إبراهيم إلى الإسراء.

٧=الجمعة: الكهف.

الأسبوع الآخر:
٨-السبت: من مريم إلى النور.
٩-الأحد:من الفرقان إلى العنكبوت.
١٠-الاثنين: من الروم إلى الصافات.
١١-الثلاثاء: من ص إلى الجاثية.
١٢-الأربعاء: من الأحقاف إلى الممتحنة.
١٣-الخميس: من الصف إلى الناس.

١٤=الجمعة: الكهف.

...
خذ بأصعب ما في الشريعة، ولا تأخذ بالرخص، ما استطعت. وخذ بكل أمر ونهي ما استطعت ولا يغرّك قولهم "هذا مستحب، هذا مكروه"، فإذا ورد الأمر صريحاً من الله ورسوله فخذه ولا تعرض عنه ولو ثبت جدلاً أنه أمر على سبيل الاستحباب أو الإباحة أو نهي عن سبيل الكراهة، خذه ما استطعت فإني لم أجرّب يوماً ترك أمر أو فعل نهي إلا ووجدت مغبّة ذلك في نفسي وحياتي. خذها من مجرّب احترق بالرخص والتساهل في بعض الأمور.

...
رأيت بالأمس الله تعالى في المنام، رأيت مائدة والله تعالى جالس على رأسها فجلست أنا في الطرف المقابل له حيث قلت في نفسي ما حاصله "أنا عبده وهو ربي فأنا مقابله فهذا المكان أنسب لي" وبعد أن جلست هناك قرّبني إليه بنحو خفي فجلست عن يمينه بقربه وليس ملاصقاً له لكن من جهة أقرب له. وسمعته تعالى يقرأ القرءان ويبيّنه لي. ودلّني على سورة الصف وحفظت هذه العبارة من المنام "سورة الصفّ وليس الصافات" ولا أدري مصدرها لكني كنت أقولها في المنام واستيقظت وهي في قلبي. وكانت الرؤيا ذات صورة طبيعية، أي ليست على سبيل الرؤيا النورانية حيث ظلمات ونور فقط كما كان الحال في أول رؤيا رأيت فيها نفسي في عالم الظلمات وعليّ عمود نور من فوق والله تعالى غيباً يقرأ عليّ القرءان غيباً وتجريدياً. بل هذه الرؤيا كانت ذات صور وسمعت فيها كلاماً عربياً منه تعالى.

...
قبل أيام وقفت أصلّي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأوراد طريقتي في الصلاة على النبي، وبينما أنا واقف في مصلّاي وواضعي يدي اليسرى على المصحف المغلّف بالقماش الذي أخذته من قرب الحسين عليه السلام في مصر، ويدي اليمنى تمسك السبحة المعجونة بالغبار الذي جمعوه من تظيف حجرة ضريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا في الصلاة عليه رأيت أمامي سماءً أو سحابة والنبي فيها، ورأيت أرضاً كأنها حافّة جبل بعده هاوية، ومن السماء سلالم نازلة ذات بياض وسواد وفيها درجات كاملة ودرجات ناقصة ومهترئة، وتحت كل سلم منها شيوخ يدلّون الناس على تسلّق هذه السلالم حتى لا يقعوا في الهاوية، ولغط كثير وخلاف وظلمة عند كل السلالم. وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم من جهة يده اليمنى ومن جهة يدي أنا اليسرى، انحاز النبي إلى يمينه وألقى إليّ سُلَّم ذهبي فصرت أدلّ الناس عليه، وهو سلّم ذهبي يلمع ويشعّ وكامل مكتمل ولم يوضع السلّم إلا لي ولمن قبل دعوتي.

...
(من سورة الصف)

١-(سبّح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم)

كل مخلوق له وجودان. وجود في مستوى التكوين الأعلى، ووجود في مستوى الخلق الأدنى. فوجوده الأعلى سابق وثابت، ووجوده الأدنى تالي ومتغير. الوجود تسبيح للموجد سبحانه وتعالى، نفس الوجود تسبيح له، لأن الموجود يدل على موجده المتعالي عنه والمتجلي به. كل موجود له دلالة على موجده من حيث ذاته إذ لولا نور ذات الموجد لما وجدت ذات الشيء، ومن حيث صفاته إذ لولا إفاضة أسماء الموجد لما وجدت صفات الشيء، ومن حيث حدوده إذ حدوده تدل على أن موجده لا حد له.

٢-(يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون)

الإنسان عقل وقول وفعل. البداية العقل. فإذا عقلت فقل، إذا قلت فافعل. أو إذا عقلت فافعل، وإذا فعلت فقُل. الأعلى يفعل ثم يقول، الأدنى يقول ثم يفعل. وكلاهما يؤسس على العقل. وأما مَن لم يعقل فليس في الحسبة أصلاً وهو في حكم العدم، فالعقل بداية نور وجودك ومدار عملك ومعيار درجتك.

العقل هو المُسبّح لله بمعرفته، والقول سماء، والفعل أرض. فليكن قولك تابعاً لعقلك، وفعلك تابعاً لعقلك، وعقلك تابعاً لله تعالى. وبذلك يستقيم أمرك كله.

القول أصدق من الفعل عادةً، لأنه أيسر على النفس وأبعد عن قيود الظروف المحيطة بالفعل.

الإصلاح في الأرض من التسبيح بالفعل. أن يكون الدين لله لا إكراه فيه البتّة بل كل فرد حر في دينه وإعلانه والدعوة إليه والمجادلة عنه هو أبرز وأهم إصلاح في الأرض، والتسبيح هنا هو بفعل كل ما يكفل ذلك سواء بفعل الأمور التي توجد ذلك في الأرض أو فعل الأمور التي تنزع الإكراه في ذلك من الأرض كقتال المُكرِهين المعتدين. لأن الدنيا الجسمانية بالنسبة لمن عرف الآخرة الأبدية للنفس هي مجرد وسيلة لنجاة ورفعة النفس وذلك بالدين. فمن عقل هذا وقال أنه يؤمن به فعليه أن يفعّله.

القول إرادة العقل الظهور، لكن لما كان ظهور العقل يتم أيضاً بالفعل، فوجب على الإرادة أن تُظهره بالقول وبالفعل معاً. فإما تريد إظهار عقلك أو لا. فإن أردت إظهاره فأظهره كاملاً بالقول وبالفعل. الإرادة المنقسمة والمترددة هي إرادة مريضة.

الخيال سماء العقل، الحس أرض العقل. فالخيال يستنير حين يكون محل ظهور أمثال مستقيمة هادية لنور الحقيقة، والحس يستنير حين يكون محل ظهور أعمال مستقيمة مهتدية بأمر الشريعة والطريقة.

٣-(كبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)

الله تعالى قوله هو فعله وفعله هو قوله لأنه واحد. الحب مشاكلة ومجانسة ومناسبة بين المحب والمحبوب على مستوى الذات أو العقل أو الإرادة. فحتى يحبك الله لابد من أن يكون أمرك تابع لأمره، ومن أمره الوحدة بين القول والفعل بحسب العلم.

من قال فقد اعترف بالحق، فإن خالف فعله قوله فقد أنكر الحق، فصار معترفاً منكراً وهذا شرك، وإيجاد وإعدام، وتقدّم وتأخر. لأن الإنسان له رتبة الممكن الوجود، والممكن ما بين الوجوب والاستحالة، والوجوب عين الوجود والاستحالة محض العدم، ظهر في الناس الاختلاف ما بين القول والفعل، فمالوا للنور بالقول ومالوا للظلمة بالفعل فصاروا برزخاً إمكانياً ومجمعاً لبحري العذب الفرات بقولهم والملح الأجاج بفعلهم. التعلق بالله بالتعقل هو اختيار الميل التام للجانب الشرقي أي للوجوب والنور، ومن هنا اسم الحنيف الشريف فإن الحنيف هو المائل. ظهرت الحنيفية في "لا إله إلا الله"، لأنها جمعت ما بين العدم والوجود من حيث أن "لا إله" عدم، لكنها مالت بالعقل تمام الميل إلى نور "إلا الله"، فدلّت هذه الكلمة على مقام الإنسان الإمكاني مع إصلاحه بالميل به نحو الوجود الواجب.

على المؤمن الوعي بأن تفريقه ما بين قوله وفعله يؤدي به إلى المقت الكبير عند الله، لأن إيمانه يدل على إقراره بالحق فلما خالف بفعله استحق مقتاً كبيراً وليس صغيراً، فذنب الكبار كبير، والمؤمن كبير القدر عند الله بإيمانه، وشاهدي إيمانه قوله وفعله.

٤-(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

فقوله سابقاً "يأيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون" يشير إلى الذين علموا قصد الله من خلق العالم وهو مدلول أول آية "سبح لله". فلما علموا ذلك، نظروا في الأرض فوجدوا أناساً يُكرهون الناس في الدين فلم يعد الدين كله لله بل صار بعضه أو كله للناس المُكرهين غيرهم، وكذلك صار بسبب الإكراه يعبد البشر بشراً مثلهم، وكذلك صارت النفوس منقسمة تقول شيئاً وتفعل غيره، وكذلك صارت للناس يوم القيامة حجة في ضلالهم بوقوعهم تحت الإكراه والاستضعاف، وكذلك لم يعد بالإمكان فتح أبواب الإصلاح والسلام لأن أصحاب الإكراه والجبرية يمنعون ذلك. بالتالي وجب إزالة هؤلاء المُكرهين المعتدين وكف أيديهم عن الناس. ولذلك جاءت هذه الآية (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله).

يكفي المؤمن أن يعرف أن الله يحب أمراً حتى يعمله وإن لم يأمره به، ويكفيه معرفة أن الله لا يحب شيئاً حتى يتركه وإن لم ينهاه عنه. لأن المؤمن يطلب الاتصال، والاتصال بالمناسبة،

والمناسبة بالتوافق في المُراد وهو العمل. فالله لن يتغير ليناسب الإنسان، فلا يبقى إلا أن يتغير الإنسان ليناسب مراده مراد الله وهو الحب.

القتال في سبيل الله يعني رفع الإكراه عن الدين كل الدين من الأرض. "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" الفتنة التعذيب وامتحان الناس في أديانهم بالعنف والتهديد الواقعي بالقهر بسبب الدين. فمَن قاتل للحرية الدينية المطلقة فهو محبوب لله من هذا الوجه. ومن حارب الحرية الدينية فهو ممقوت عند الله.

(إنَّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) جاء الخبر مؤكداً حتى يرد على الذين يزعمون أن الله يحب الوضع القائم في الدنيا المليئة بالإكراه في الدين والإلزام بالعنف عليه. الذين يزعمون أن الوضع القائم هو مراد الله المحبوب له أياً كان. هؤلاء دائماً يرضون بالقبيح الواقع وينسبونه لله جل وعلا. ولو خالف أحد من الناس مرادهم هم لانتفضوا وغضبوا وهاجوا وماجوا، فلا تجدهم جبرية في هذا المجال. هم جبرية في مراد الله، قدرية أهل حرية في مرادهم هم. أقوالهم مليئة بالاعتراضات على وقائع كثيرة، فخالف قولهم قولهم وخالف فعلهم قولهم فمقتهم الله تعالى، لذلك ستجد وجوههم وحياتهم مليئة بالظلمة والذل والخزي والخوف. من قاتل في سبيل هواه ولم يقاتل في سبيل الله فقد خسر الدنيا والآخرة.

(الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) قاتل الله العدم حين قال "كن"، فهذه الكلمة أوجدت الأشياء وظهر العالم العلوي والسفلي بها، فلم يستسلم الله للعدم ولم يبقي كنز أسمائه مخفياً بل أظهره وأنار الوجود بكلمة الجود "كن". كذلك الذين (يقاتلون في سبيله) يحبهم لأنهم يعملون بقدرهم ما عرفوه من أمر ربهم.

(صفّاً) في السماء "الصافات صفا" وفي الأرض (يقتلون في سبيله صفاً). فالذين ءامنوا من هؤلاء في الأرض كالملائكة في السماء. فأول كراماتهم حب الله وفعلهم بقدرهم كفعله تعالى، وثاني كراماتهم مشابهة الملائكة.

(كأنهم بنيان) وصفهم بتجريد العقل ووصفهم بتجسيد المثل، فجمع لهم الوصف السماوي والأرضي.

(بنيان) المؤمن بنيان الله، والقتال تعرّض لهدم صورة البنيان لا نفسه الخالدة، فكما أن الله يحفظ أمثال الخلق ويجدد صورهم فكذلك سيحفظ نفس المؤمن وإن هُدمت صورته.

(بنيان مرصوص) كما أن الله قاتل العدم بكلماته "يحق الله الحق بكلماته" "خلق السموات والأرض بالحق"، والكلمات بنيان مرصوص، كل حرف بناء وكل كلمة رص للحروف وكل جملة جمع لذلك. كذلك كل جزء من المؤمن حرف إلهي، وكل مؤمن كلمة، وكل جماعة متحدة بنيان

مرصوص. وكما أن وراء المخلوقات نور الله، كذلك وراء جماعة المؤمنين العقل المستنير بالله، وهو الذي يوحد ويجمع بينهم.

...

أرسلت لي عائشة بعد حديثنا عن الصابئة صورة تسابيح من فرقة الصابئة المعروفة والتسابيح فيها توحيد وذكر الله بأسمائه الحسنى كالتي في القرءان، وقالت: بمناسبة الحديث عن الصابئة شكلي اضمها لأورادي!

فقلت: "ليسوا سواء من أهل الكتب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله"

...

سألني عن هذه الأشهر السنوية ما أصلها في الدين وذكر تشكيك البعض في أن رمضان ليس هذا الرمضان الذي هو الشهر التاسع ولا الأشهر الحرم هي الأشهر الأربعة المعروفة ونحو ذلك.

فقلت: بالنسبة لموضوع الشهور: ذكر الله في القرءان ثلاث مرات كلمة "الدين القيّم". مرة متعلقة بالتوحيد "أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيّم". وثانية متعلقة بالفطرة "التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم". وثالثة متعلقة بالأشهر الاثني عشر "اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرم ذلك الدين القيم". فتوحيد الله وفطرت الله وأشهر خلق الله. هذا أمر.

أمر ثاني: "فسيحوا في الأرض أربعة أشهر"، "فإذا انسلخ الأشهر الحُرم فاقتلوا المشركين".

أمر ثالث: "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا...تركوك قائما".

هذه الأمور الثلاثة إذا جمعناها سنخرج بالتالي: أولاً، تقسيم الشهور وحفظ الجمعات كان من أيام النبي وبقي في الأمة كلها حتى يومنا هذا باتصال من النبي إلى زماننا. ثانياً، هو متعلق بالدين والتوحيد والفطرة، فليس أمراً ثانوياً أو مهملاً حتى نفترض أنه يحتمل تضييع النبي والأمة كلها من زمنه إلى زماننا له. ثالثاً، ترتب على الأشهر قضية الأشهر الحرم ولها أحكام مهمة مثل الحج والقتل والبراءة، فهذا أمر يزيد ثبوت موضوعها وأنه قضية عامة كان يعرفها حتى المشركون. رابعاً، هي "اثنا عشر شهرا" فالاعتبار فيها للعدد والكمية كأصل. بالتالي قضية كون الربيع لابد أن يكون "ربيعاً" من حيث الكيفية، ليس ضرورياً هنا.

خامساً، قال الله أن "الأهلة" هي "مواقيت للناس والحج". بالتالي الشهر قمري، "لتعلموا عدد السنين والحساب". فالعبرة بالقمر ومنازله، وليس بفصول السنة الكيفية.

...
(تكملة سورة الصف)
٥-(وإذ قال موسى لقومه يا قومِ لمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين)

لماذا شرع الله القتال لتحرير الرسل ومن ءامن معهم من أذية الناس؟ لأن الناس لا يكفّون أذيتهم إلا عمّن يستطيع أن يؤذيهم. فبعد ذكره لمحبته لمن "يقاتلون في سبيله صفاً" في الآية السابقة، بيّن ذلك بمثل موسى هنا. فموسى ذهب منفرداً لقومه بدون قوة قتالية، وكان يقاولهم ولا يقاتلهم، فماذا فعلوا به؟ آذوه، كلهم آذوه تقريباً. لذلك قال لهم (يا قومِ لمَ تؤذونني). الأذية للجسم، خلافاً للضرر الذي قد يتعلق بالنفس دون الجسم، ومن هنا قوله "لا يضروكم إلا أذى" يعني لن يبلغوا نفوسهم وباطنكم الباقي بل سيقتصر ذلك على أجسامهم وظاهركم الفاني. مسالمة الناس تنبع إما من علمهم وقلبهم وأخلاقهم وهذا النبع الباطني، وإما من خوفهم ممن هو خارجهم وهذا النبع الظاهري. هذه الآية بيّنت جهلهم وسوء حال قلبهم بالزيغ وسوء أخلاقهم بالفسق، فنبعهم الباطني جاف. كذلك الحال عموماً، ومعاناة الرسل العُزَّل نشأت بسبب هذا، ولذلك بعث الله نبيينا محمداً بالقتال حتى يحمي نفسه ودعوته ومن ءامن معه من أمثال هؤلاء الجاهلين الزائغين الفاسقين. وإذا كان موسى كليم الله سيؤذيه قومه بسبب رسالته، فلا يتوقع أي صاحب رسالة ولا وارث رسالة أنه سيُعفى من إجرام هذا الصنف من الناس وهم الأكثرية عادةً. وإذا نظرنا بعمق سنجد أن أكثر هؤلاء آذوا موسى لأنهم رأوه سبباً لتعرضهم لمزيد من بلاء وعذاب فرعون كما قالوا لموسى "أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا"، فالسبب الجذري لإيذائهم موسى هو لأنهم لا يريدون إيذاء فرعون لهم، ففرعون السبب الجذري وبني إسرائيل سبب فرعي. لكن هذا لا يفسر حال الكل، بل فيهم من كان زائغ القلب فاسقاً. فعلى الوجهين لابد من قوة للرسل للدفاع عن أنفسهم حتى يبلغوا ويحيوا ويعيشوا رسالة ربهم.

٦-(وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)

رميهم إياه بالسحر كان سبباً لسعيهم في قتله كما قالوا "إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله". فهنا نرى مثالاً آخراً على أن بعث رسل بغير قوة قتالية سيؤدي إلى اضطهادهم وقتلهم والسعي في ذلك من قبل حتى الذين يدعون أنهم يؤمنون بكتب الله ودينه. في حالة

موسى، ذهب لقوم لم يؤمنوا بكتاب إلهي كالتوراة. لكن في حالة عيسى، ذهب لقوم يؤمنون بكتاب إلهي. ما العبرة؟ العبرة: دين أو لا دين، أكثر الناس سيكونون من المعتدين على المرسلين. ولو كنت موسى أو عيسى، ومعك كل آيات موسى وعيسى، فهذا لن يجعلهم يحترموك بالقدر الكافي حتى لا يؤذوك أو يقتلوك. كل ما ورد في قصص الرسل في القرءان عموماً أحد أكبر أهدافه تعزيز هذه الحقيقة والتنبيه على أنه ببعثة صاحب القرءان انتهى زمن محاولة إقناع المجرمين بالكلام حتى يكفوا أذيتهم ومحاولات قتلهم وسجنهم وتعذيبهم للنبيين والمؤمنين. ببعثة النبي، انتهى مع هذا الصنف زمن اللطف وجاء زمن السيف. سيف دفاع لا سيف اعتداء كما "قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين". فقوله تعالى "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله" لابد من جمعه مع "إن الله لا يحب المعتدين"، فسبيل الله لا يكون أبداً سبيل اعتداء بل هو أبداً سبيل دفاع.

المسيح جاء برسالة وحكمة، وفيها تحليل بعض المحرمات عند بني إسرائيل، وفيها تبشير بنبي من غير بني إسرائيل. هذا ما جعلهم يكفرونه ويسعون في قتله بل ويفتخرون بذلك. لأن تحليل الحرام عندهم كفر، والاعتقاد بنبي من غير بني إسرائيل لم يناسب هواهم وعقائدهم التي اخترعوها، والسحر كفر، فالمسيح عندهم كافر من جهات كثيرة فلابد من قتله. هذا اعتداء. لكل فرد الحرية في قول ما يشاء، وتحليل وتحريم ما يشاء، وادعاء ما يشاء في أمر الدين والوجود، والعمل بما لا عدوان جسماني فيه على غيره.

أوذي موسى وعيسى وبقية الرسل والمؤمنين بسبب واضح: لأنه لا توجد حرية كلام ولا حرية دين ولا حقوق اجتماع وتغيير سلمي في تلك المجتمعات. وهذا بالضبط ما يبرر تدمير الله لهم وقتالهم.

...

القضيب والاغتصاب والمثلية والخيانة والعزلة. هذه معارك الرجال النفسية على مرّ العصور.

فالقضيب يبدأ الصراع فيه حين يبلغ، ويبدأ يجد اللذة فيه. ومن مشاكله قضية عمله من عدمه أي استعماله والمشاكل المتعلقة بذلك، ثم قضية المنافسة فيه مع الرجال الآخرين أو لجذب انتباه النساء ظناً أن هذا هو المعيار الوحيد أو أهمّ معيار أو معيار حاسم في إنشاء العلاقات.

والاغتصاب خوف الرجل من تعرّضه لاغتصاب غيره، إما في جسمه كالاغتصاب الجنسي وإما في ماله كاغتصاب الأملاك وإما في لسانه وهو إجباره على النطق بما لا يريده أو بعدم

النطق بما يريده وهذا النوع الأخير أليق بالقضيب لأن اللسان قضيب العقل كما أن القضيب لسان الجسم.

والمثلية ما يجده من ميله إلى مثله، سواء في أوّل نشأته حين يميل الشبيه إلى شبهه خوفاً مما يغايره ويخالفه، وإما بعد ذلك حيث يستمرّ هذا الشعور معه. فيخاف من إظهار ذلك في قومه بعدما يجده في نفسه، مما يؤدي إلى مشاكل نفسية كثيرة.

والخيانة خوفه من خيانة زوجه له وتفضيلها غيره عليه. ولعل أكثر تنافس الرجال في السلم والحرب راجع إلى إرادة العلو من أجل حماية النفس من ألم الخيانة.

والعزلة شعوره بانعدام قيمته إذا تركه الناس واعتزل وحده. وفي هذا إنكار لقيمة ذاته وعقله وإرادته ومظهره أو شعوره بعدم تميّزه وغيبته في الجمهور.

كل مشاكل النفس أدواء، والدواء في الدين الحق، الدواء الجذري. فإن الدين ينبّه على تجرّد النفس وتفرّدها وتعاليها وخلودها وقيمتها عند ربّها وفي الملأ الأعلى والدار الأبدية، وهذا وحده كفيل بحل جذور كل تلك الأمراض. الأمراض النفسانية رسل الديانة الحقيقية.

...

ترتيب أعمال الشريعة مبني على تقديس النفس بأمور الآخرة. فمن حاكم أعمال الشريعة إلى منطق طلاب الدنيا والشهوة أضاع الحكمة وأفسد القصد منها. قال الله {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غَيّاً}، فالعبرة في الاخرة {يلقون غيا}، والعمل مرتّب من أجل حفظ الصلاة، وحفظ الصلاة سبب لعدم اتباع الشهوات. من هنا مثلاً ما تجده من أمر الغسل من الجنابة للصلاة، فإن ما بين الظهر إلى العشاء وقت صلاة وما بين الفجر إلى الضحى وقت صلاة وفي الليل صلاة تهجد، وفي النهار طلب المعاش، فلا يبقى وقت للشهوة إلا ما بين العشاء والنوم، لكن صعوبة غسل الجنابة من الليل وبرودته قد يجعل المؤمن يكره الشهوة وينفر منها لأنه سيحتاج إمّا إلى ترك قيام الليل وإما إلى كراهة الغسل في الليل وذهاب النوم منه بسبب ذلك بعد الفراغ من القيام وإما إلى تأخير الفجر لكراهة الغسل في الصباح خصوصاً إن كان بارداً، فطالب الشهوة سيجد صعوبة في قضاء شهوته إن أراد الحفاظ على صلاته والإحسان فيها، فالذي لا يفهم أن هذا الأمر مقصود وهذه الكراهة هي العبرة، قد يحسب أن الأمر فيه عنت ومشقة فيبدأ يلتمس الأعذار والرخص والتحريفات شعر أم لم يشعر. مَن لم ينظر إلى النفس والآخرة، واعتقد أن الشريعة جاءت من أجل الدنيا فلابد من أن يعترض على الشريعة ولو في خفي فكره. وأما الذين يزعمون أن

الشريعة جاءت من أجل تحصيل شهوة الدنيا وفوز الآخرة معاً فلم يفهموا لا الدنيا ولا الآخرة معاً. لو كان في دين الله مصالح أهل الدنيا لما قال فرعون عن موسى "إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد"، الفساد في عين فرعون وطلاب الدنيا غير الفساد في عين موسى وطلاب الآخرة، ومن التحريفات الشائعة أن يأتي شخص إلى آيات النهي عن الفساد في الأرض وهي آيات نازلة على أهل الله والآخرة وذكر الله كثيراً، فينزلها على الفساد بتعريفات أهل الدنيا وأهل الشهوات. محاولة التوفيق بين طلب الآخرة وطلب الدنيا من شأن أهل النفاق، وغالباً ما ينتهون إلى "خسر الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين".

...

(تكملة سورة الصف)

٧-{ومَن أظلمُ ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين}

هذه الآية عن كلمة الله والتي تليها عن نور الله والثالثة عن رسول الله.

{افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام} كأن يدعي أن لله دين غير دين الإسلام، فيرفض دعوة الإسلام بحجّة ذلك الدين والأمر الآخر الذي ينسبه إلى الله. أو كأن يدعي أن الله لم يوحي بالإسلام أصلاً. فمن نسب لله غير دعوة الإسلام أو لم ينسب إليه دعوة الإسلام فقد افترى عليه الكذب وبلغ غاية الظلم. ومن شواهد هذا المعنى قوله تعالى في سورة العنكبوت "من أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحق لمّا جاءه" فقوله "افترى على الله كذباً" يشير إلى النوع الأول وهو نسبة أمر غير الإسلام لله، وقوله "كذبّ بالحق لما جاءه" يشير إلى رفضه نسبه دعوة الإسلام لله بعدما جاءته "له دعوة الحق".

{مَن أظلم} ممن هذا حاله؟ سؤال جوابه فيه، سؤال تقريري، أي ابحثوا وانظروا وتأملوا فهل تجدون مَن ظلمه أشدّ من هذا الظلم. لماذا؟ لأن الله أعلى وجود، والدين أعلى متبوع، والعقل أعلى ما في الإنسان، والكلام أعلى تعبير عن العقل. فمن {افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام} قد جمع الظلم في حق الله تعالى وفي حق الدين وفي حق العقل وفي حق الكلام. هذا وجه. وجه آخر، أن منشأ كل مظالم الإنسان يرجع إلى دينه، ودينه يتشكّل بحسب موضوعه، فمن رفض الإسلام لله تعالى فقد أسس الظلم الجامع لكل المظالم الفرعية.

{والله لا يهدي القوم الظالمين} فليس كل ما يصدر من الإنسان بفعل الله تعالى، وإلا لكان للظالمين حجّة هنا بالقول بأن ذلك الافتراء على الله إنما هو من فعل الله فيهم وبهم. فإن كان

المفتري الكذب فيما يخص الإسلام قد بلغ أعلى ظلم، فأساس هذا الظلم قد يكون الاعتقاد بالجبر وفعل الله في العبد ونفي مسؤولية العبد عن عقله وكلامه وإرادته.

{وهو يُدعى إلى الإسلام} هذه الآية تابعة للتي قبلها بالواو، وما قبلها عن عيسى، فمن هذا الوجه يكون الداعي إلى الإسلام هو رسول من رسل الله، فكان من افترائهم قولهم عن بينات عيسى بأنها سحر مبين. فمن دعاه رسول إلى الإسلام الحق فهو المقصود بالقصد الأول. وأما مَن دعاه أهل الهوى والفرق والشيع والأحزاب ممن يقول بالظن والخرص والوهم فليس هذا سبيله.

٨-{يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}

الآية السابقة افتراء كذب، وهو عمل عقلي. هنا عمل إرادي {يريدون}. فالافتراء عقل تجلى في كلمة، هنا إرادة تجلت في كلمة {يريدون..بأفواههم}. فبدأ ببيان فساد عقولهم وثنّى ببيان فساد إرادتهم.

الإسلام يتعلّق بالوجه وبالإرادة وبالقول. فقال {أسلمت وجهي لله} وفي إبراهيم {قال أسلمت لربّ العالمين}. فمنكر الإسلام يقول لك توجّه إلى غير الله وإلى ما دون الله، ولتتعلّق إرادتك بغير وجه الله "يريدون وجهه"، ولتقل ما تقوله ليس لوجه الله. {والله متم نوره} نوره الذي يُشرق على كل القابلين المريدين له وينفعهم، ويُشرق على غير القابلين له حتى يقيم الحجّة عليهم فيهربوا منه رفضاً عنه كالخفافيش إلى كهوف الظلمات.

أوّل ما سيحاول أعداء الإسلام فعله هو استعمال القول. {افترى على الله الكذب} و {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم}. ومن هذا الباب سيعملون على إسكات دعاة الإسلام بكل سبيل ولو بالقتل والقهر، ويكون القول لهم وحدهم. فمن احتكر القول فهو عدو الإسلام رأساً، بلا تردد. ولن يكون إلا عدواً للإسلام الحق. فحتى نضمن مواجهة الكذب بالصدق، ومواجهة مريد الإطفاء بالإشعال والإشراق، فلابد من ترك القول حراً تماماً ليس لأحد سلطة عليه ولا لبشر الحق في توجيه الناس فيما يقولون وما يدينون به.

٩-{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون}

فلن يزال في الأرض كافر ومشرك حتى بعد إظهار دين الحق، فإظهار دين الحق لا يعني فرضه وجبر الناس عليه فهذا نقض للدين الحق "لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي"، فمعنى إظهار الدين هو تبيّن رشده وحججه للكل، {ولو كره} مَن كره لأنه لن يكون لهم بعد ذلك

سلطة إكراه الناس على سماع ما يسمعونه أو التديّن بما يشاؤونه. {ليُظهره على الدين} وليس يُظهره على الناس أو يجبر الناس عليه ويكرههم عليه.

{بالهدى} الأحكام. {ودين الحق} العلوم. أي أحكام وعلوم القرءان ستظهر في الأرض كلها وسيتم إعلانها والدعوة إلى الإسلام لله بها، إسلام الإرادة للأحكام والحقوق وتسليم العقل بالعلوم والحقائق.

هذا المقطع من الآية ٧-٩ تابع لما سبقه، أي رفع سلطة الإكراه عن الدين والتبيين من الأرض كلها، وسيظهر رسول الله ودعاة الإسلام في الأرض ويعلنوا البينات والحجج وهم آمنون سالمون وسيدخل مَن يشاء في دين الله ويخرج من شاء إلى جهنم بحرية تامّة. حينها سيكون الظهور {ولو كره الكافرون...ولو كره المشركون} لأن كرههم سيكون في نفوسهم ولن يستطيعوا إظهاره بأفعالهم القهرية الجبرية العدوانية على الدعاة والمدعوين والناس أجمعين.

...

قراءة كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تجعل بإذن الله النفس تسترجل، تجعلك رجلاً وتجدد في النفس روح القرءان وعزّ الإسلام ونظافة الحياة وقوة القلب.

...

كنت أقرأ في نهج البلاغة فوجدت أصلاً لمقالة "في الديكتاتورية، العامّة تخاف من الحكومة. في الديمقراطية، الحكومة تخاف من العامّة"، أصل ذلك من كلام علي هو قوله عليه السلام {ولقد أصبَحَتْ الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحتُ أخاف ظُلم رعيتي}. بذرة معاملة العامّة للحكومة كتابع لها وتنفّس العامّة روح الإنسانية والقيمة والكرامة ظهرت بالنبي ثم تجددت مع علي وبعد ذلك وقبله كان غشماً في غشم وطغياناً على دركات مختلفة واستمرّ في الأمّة " الإسلامية" إلى اليوم، وأخذ أنصار الديمقراطية في الغرب تلك البذرة وزرعوها عندهم وعاشوا تحتها وأكلوا من ثمرها الطيب، بينما البلدان المسماة إسلامية تأكل من زقّوم الطغيان منذ قرون.

...

رأيتُ الليلة الماضية في المنام المسجد النبوي وقد تحرر من السلطة السعودية الوهابية لعنها الله ودمّرها. وكان المسجد في أحسن حال وسكينة وجمال بديع، ورأيت حلقات قراءة قرءان مباركة وبهية وجليلة تقام في صدر المسجد. ورأيت ضريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بارزاً غير محاط بهذه الجدران الكافرة له والمغطية له عن أعين المسلمين، بل رأيته بارزاً في وسط المسجد، ضريحاً أبيضاً مرتفعاً عظيم الجلالة تستطيع المرور من أمامه ولمسه بيدك ليس

حوله لا جدار ولا حرس، فلما اقتربت منه شعرت ببهاء وحضور نور النبوة بنحو لا أستطيع وصفه. ثم مشيت إلى آخر حدود المسجد فوجدت شيوخاً وتلاميذ من الوهابية يجلسون ويدرسون كتب شيخ طائفتهم المارقة، وجلسوا ليس على هيئة حلقة بل كأنهم على طاولة طعام مستطيلة وبدوا لي مبعثرين وفوضويين بالنسبة للحلقات التي وجدتها في صدر المجلس، فذهبت إلى شيخهم وقلت له ما معناه،-مجادلاً له كما كانوا ولا زالوا يصنعون بالمسلمين "لماذا تدرسون كتبكم هذه؟ أليست دراسة القرءان أولى؟" فسكت شيخهم، فأجاب أحد الحاضرين كأنه يريد تنبيه شيخه على الجواب فقال ما معناه "هذه الكتب هي عن القرءان وفيها شرح آيات القرءان على الوجه الصحيح"، وطبعاً كان جواباً غبياً، وبدأت أسمع حواراً في عقلي فقلت "فهل تدعي أن القرءان غير مبين حتى نحتاج إلى شيخك ليبينه لنا؟ هل تتخذ واسطة في فهم الكتاب والسنة وهذا شرك على طريقتكم بل يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة؟ " فلما استيقظت رأيت هذه الطريقة حسنة في تخليص أتباع الوهابية من شيوخهم المارقين، وذلك بأن يتم تخليصهم أولاً من كتب الوهابية بأمرهم بالرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة، وثانياً تخليصهم من شيوخ الوهابية برميهم بأنهم طواغيت يعبدونهم من دون الله ولأنهم يتخذونهم وسائط في فهم الدين بدلاً من أن يرجع كل واحد منهم إلى الكتاب والسنة مباشرة، وبهذين الطريقين يتخلصون من فتنة الوهابية الكبرى، ثم بعد ذلك وبعد تطهرهم منهم يمكن العمل على دعوتهم إلى كيفية فهم الكتاب والسنة على الوجه الأسلم والطريق الأحسن.

خرجت من هذه الرؤيا بأمور. منها بشرى خلاص المسجد النبوي والحجاز عموماً من طغيان الدولة السعودية وعودته إلى المسلمين عامّةً إن شاء الله. ومنها أن المسلمين سيكونون أحسن من الوهابية في أنهم سيسمحون لهم بإقامة مجالس بدعتهم وتعاليمهم داخل المسجد الحرام ولن يطردوهم أو يضايقوهم بغير حق فيها. ومنها وجوب إبراز ضريح النبي ورفع هذه الجدران والأبنية التي حولها والتي تمنع المسلمين من رؤيته والاتصال به والاستمداد من نوره مباشرة وبركة الحضور الظاهر لتابوت النبي في مسجد المدينة كبركة الحضور الظاهر للكعبة في مسجد مكّة.

...

(تكملة سورة الصف)

١٠-{يا أيها الذين ءامنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم.}

التجارة مظهر العلاقة السببية، فلكل سبب أثر، ولكل أثر سبب. فالتجارة تبادل الفعل والانفعال. وحيث أن الربوبية مبنية على السببية، فإن الرب هو السبب الحق، والكون مبني على السببية دنيا وآخرة، قال {يا أيها الذين ءامنوا} بالله تعالى وسنّته في العالَم.

وءامنوا بأن كل شيء صدر من العدم ويميل إلى الألم بنفسه، إلا أن يفعل فيه سبب إضافي ليخرجه إلى الوجود ويدفع عنه الألم، كالجسم مثلاً إن تركته بدون فعل وجلست ساكناً فسيميل إلى الموت ويتآكل وستتألم ألماً شديداً خلال ذلك، فكذلك الحال مع النفس، إن تركتها بدون سبب فعّال خاص فإنها ستذهب جهة العدم وتمتلئ بالألم. وحيث أن الآخرة إما جنّة وإما نار في النهاية، والنار هي الأصل كما أن الليل في الطبيعة الدنيوية هو الأصل والنور طارئ، وكما أن الانجذاب نحو الأسفل هو الأصل للجسم والارتفاع والطيران هو الطارئ بسبب خارجي خاص، والجوع هو الأصل ما لم تأكل، واتساخ الأسنان هو الأصل إن أهملت أسنانك ونظافتها عرض طارئ بسبب خارجي كالسواك، وهكذا في كل صغيرة وكبيرة الأمور تتجه بطبعها نحو العدم والألم، فكذلك الحال في الآخرة فإن الاخرة كالدنيا إلا أنها أكبر وأبقى، فالنفوس كلها بذاتها متجهة نحو النار أي {عذاب أليم}. فمن ءامن بكل ذلك، وعرف أهمّية وجود {تجارة} حتى تنجيه من {عذاب أليم}، فإن تنبيهه بسؤال {هل أدلّكم} سيجعله يطلب الجواب ويرغب فيه ويتشوق لمعرفته.

ولاحظ أن المنجية هي التجارة، {تجارة تنجيكم} فالله تعالى حكم بأن هذه التجارة منجية، هي سبب النجاة كما أن الماء سبب الحياة "أحييناه به الأرض"، فمن أنكر سببية الماء وسببية التجارة فقد كفر بالله تعالى وسنّته في العالَم. فمن زعم أن الله سينجيه بغير هذه التجارة، أو حتى سينجيه ولو عمل بعكس هذه التجارة، فقد كفر بالله وافترى عليه الكذب، ومن هذا الباب زعم بعض المشركين أن الشفعاء سيشفعون لهم وإن كانوا على ما كانوا عليه من الأحوال والأقوال والأفعال أي بغض النظر عن عقلهم وإرادتهم، كذلك زعم بعض جهلة الإسلاميين مثل ذلك ممن لا يبالي بقول الله تعالى بسبب ما زيّنه له واضعو عقائد الإفك.

{يا أيها الذين ءامنوا هل أدلّكم} هذه مثل قول أخت يوسف لقوم فرعون عن موسى "هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه"، فالجاهل بنفسه يحتاج إلى دليل من غيره. كذلك هنا. إيمانهم لم يكفيهم لمعرفة هذه التجارة، بل احتاجوا إلى دليل من غيرهم وهو رسول الله. فالإيمان بالأمر الكلّي لا يعني بالضرورة الإيمان بالجزئيات والتفاصيل. نعم قد تعلم وجوب وجود تجارة تنجيك من عذاب أليم كما تعلم وجوب شربك للماء لتنجو بدنياً من عذاب العطش الأليم وآثاره في

وهمك وذهنك "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً". فتعقّل سنن الأبدان يؤسس لمعرفة سنن الأديان، لكنها معرفة كلّية، فإن النفس كالبدن من هذا الوجه أي من وجه التناظر والتماثل على قاعدة التأويل الباطني. فهذه الآية تنطبق تماماً على الحياة البدنية الطبيعية أيضاً. {يا أيها الذين ءامنوا} أي رأوا الطبيعة وشؤونها وبدنهم فيها. {هل أدلّكم على تجارة} فعل تفعلونه ووقت تمضونه في طلب وسيلة لنقل الماء، فإنه لابد من أن تعطي شيئاً حتى تأخذ وتشرب، ولو أن تصرف ذهنك ووقتك وجهدك بقدر ما لتحصل على الماء وتشربه، فلابد من منطق التجارة أي تعطي وتأخذ، تفعل وتنفعل. {تنجيكم} فلابد من الأسباب في الطبيعة هكذا قضى الله تعالى وفعل وبيّن. {من عذاب أليم} فالأصل هذا بدنك ما لم تفعل شيئاً وتعطي شيئاً مقابل الخروج من العذاب الأليم للبدن. إذا عرفنا هذا، نستطيع أن نعرف على قاعدة الإيمان بالنفس والتناظر بينها وبين البدن والتناسب بين الدنيا والآخرة على قاعدة الأمثال والتأويل وكون الآخرة باطن الدنيا، نستطيع أن نعرف بنور العقل الإيماني بإذن الله تعالى وتوفيقه وجود مثل هذه القاعدة في الآخرة أيضاً على نحو كلّي، فنطلب تلك التجارة الأخروية. فلاحظ أن الآية لم تقل "هل تعلمون أنه توجد تجارة تنجيكم من عذاب أليم" أو "هل تعلمون أنه يوجد عذاب أليم في الآخرة لابد لكم من اتخاذ تجارة للنجاة منه" وهكذا، لم تقل الآية شيئاً عن إثبات وجود العذاب الأليم وأنه القاعدة الأصلية التي ستذهب إليه النفس وأنه لابد من التحرز منها بسبب وأما وصول العذاب الأليم ذاته فلا يحتاج إلى سبب مثل "إن الإنسان لفي خسر" فهذه القاعدة الأصلية اللاسببية ولكن من أراد الفوز فعليه اتخاذ أسباب " إلا الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر". الآية تفترض معرفة {الذين ءامنوا} بوجود العذاب الأليم وأنه الأصل للنفس، وبوجود مبدأ التجارة للنجاة من ذلك العذاب الأليم، فكلّيات هذه الأمور معلومة بنور العقل الإيماني. فلماذا جاءت الآية؟ جاءت لتقول {هل أدلكم على تجارة}، أي للدلالة على الجزئيات والتفاصيل. يشبه هذا في عالَم الأبدان، أن ترى شخصاً يعاني من ألم العطش فهذا الألم معلوم له وجدانياً ولا يحتاج إلى شخص ليبينه له ويدله على أنه عطشان، وكذلك لا يحتاج إلى تنبيه كلّي على وجوب أخذه بسبب ما للخروج من العطش، لكن ما يحتاج الدلالة عليه هو معرفة وسيلة الخروج من العطش تفصيلاً أي الماء، وكذلك معرفة أين هذا الماء وكيف يصل إليه وكيف يشربه. كذلك في عالَم الأديان، أي عالَم النفس والآخرة. الأصل الكلّي معلوم للنفس العاقلة "وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون". لكن التفاصيل هي ما يأتي الوحي ببيانها، ومن هنا

قوله {هل أدلكم على تجارة تنجيكم}. أي السبب الحقيقي الذي وضعه الله تعالى وأحكمه. فيشبه هذا في عالَم الطبيعة أن تجد شخصاً مريضاً فيعلم بنحو كلّي حاجته إلى الدواء لكنه يخاف من أخذ دواء طبيب نصّاب فلا يكون دواءً في الواقع بل يهلكه، كذلك الذين ءامنوا يخافون من الخطأ في اتخاذ الأسباب الأخروية ولذلك طلبوا الدلالة عليها بنحو موثوق من رب الآخرة جلّ وعلا الذي هو "ملك" و "مالك يوم الدين" حيث "الأمر يومئذ لله".

{على تجارة تنجيكم} ولم يقل "على التجارة" أي لم يحصر النجاة في سبب هذه التجارة، بل قال {على تجارة} أي هذا سبب وليس السبب الوحيد للنجاة من العذاب الأليم في الآخرة. تأمل دقّة القرءان. وهذا عين الحق، لأن بعض النفوس سينجو في الآخرة وإن لم يأخذ بهذه التجارة الخاصة المذكورة هنا كالأطفال الذين ماتوا على الفطرة أو مَن ليس له عذر مقبول عند الله يحول بينه وبين العمل ببعض تفاصيل التجارة المذكورة هنا، فمثلاً الإيمان بالرسول فقد يكون في زمن فترة حيث لا رسول، ومثلاً الجهاد بالمال فقد يكون فقيراً لا مال له، ومثلاً الجهاد بالنفس قد يكون أعمى أو أعرج أو مريض فهو معذور في ترك الجهاد بالنفس بهذا المعنى، وهكذا. فصياغة القرءان دقيقة، المدلول عليه هنا هو {تجارة} وليس "التجارة" الوحيدة. كما لو أننا قلنا لعطشان "هل ندلّك على شراب يرويك. اشرب عصير التفاح"، فنعم بالنسبة لهذا العطشان قد يرويه عصير التفاح، لكن بالنسبة لمن لا تفاح له فقد يرويه عصير البرتقال أو الماء المجرّد ثم الماء له أنواع وأصناف كلها ينجي من عذاب العطش الأليم للبدن.

...

قراءة آية واحدة كفيلة بتغيير حياتك كلياً وإصلاح أمرك جذرياً.

فالسؤال: لماذا لا نجد هذا الإصلاح على مستوى الأمة بالرغم من كل ختمات القرءان التي يقوم بها مختلف الناس شرقاً وغرباً؟

أحد الأجوبة إشارته في قوله تعالى (إن يشأ يُسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره). المعنى؟

هذه الحياة مثل البحر، أنت السفينة، قلبك شِراع السفينة، والريح روح القرءان. الآن، السفينة راكدة طالما أن الريح ساكنة أو المرساة ملقية، أو قد تكون الريح متحركة والمرساة غير ملقية لكن الشراع غير مفتوح أساساً فلا ينتفع بالريح وحرية الجريان في البحر. وبالطبع الضرر الأكبر أن تجري سفينتك في الاتجاه الخاطىء.

إذن لدينا أربعة شروط لتكون من أهل (أنجيناه وأصحاب السفينة).

الأول، معرفة المقصد. المقصد من القرءان كله يتلخص في سعادة النفس "فمنهم شقي وسعيد"، "من جاهد فإنما يجاهد لنفسه" "من شكر فإنما يشكر لنفسه"، "عليكم أنفسكم"، "يوم يفر المرء من أخيه..لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه". والنفس هنا هي النفس الإلهية لا النفس الطبيعية، يعني ليس المقصود جسمك بل نفسك الخالدة الباقية التي قيل فيها "فطرت الله" و "نسوا الله فأنساهم أنفسهم" فإنه لا يوجد أحد عادةً ينسى جسمه وشهواته بل كلما نسي الله كلما ازداد ذكره لجسمه وشهواته كما قال "أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات". فمعرفة النفس وسعادتها هو المقصد كما أن لكل سفينة مسافرة فائزة مقصد.

الثاني، فتح الشراع. يعني فتح قلبك لفهم القرءان. وهذا يبدأ من وعيك بأنه لابد لك من فهم القرءان وتعقله، فلا تقرأ إلا بقصد الفهم والتعقل كهدف أساسي. ومفتاح ذلك أن تتوجّه إلى الله بالذكر والدعاء قبل القراءة ليعلمك كتابه ويهديك لفهمه كما قال "ففهمناها سليمان" وقال "مَن يؤمن بالله يهدِ قلبه".

الثالث، رفع المرساة. المرساة حديدة ثقيلة جداً يتم غرزها في أرض البحر حتى لا تتحرك السفينة. أكثر الأمة مصيبتهم هنا. "اثّاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة". القارئ الذي جزم مسبقاً بأنه لن يغيّر أموراً معينة في ذاته وخارجه فهذا غرز حديدته في أرض مقامه الحالي ولو جاءته ريح عظيمة لا تحرّكه ولا ينتفع بها. مثلاً، قارئ جزم مسبقاً بأن المذهب الذي نشأ عليه هو الحق كله واعتقد بغير خبرة منه أن كل ما يعتقده الآن ويقوله له شيوخه ومن سلف منهم هو الدين لا غير، فمثل هذا ولو ختم القرءان ألف مرة لا ينفعه لأنه إما سيُعرض عن معانيه وإما سيُحرّفها وإما سيتغافل عنها حتى من بعد ما عقلها. مثال آخر، قارئ يعتقد بأن حياته الآن في نواحيها الاجتماعية السياسية ليست قضية دينية أصلاً وهو في تمام التمام وأحسن مقام ولا يوجد شيء ليتغير، مثل هذا حين يقرأ مثل "يا عبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون" لن يخطر حتى بباله سؤال مثل "إن كانت عبادة الله هي مجرد الاعتقاد بالقلب والدعاء له فهذا يمكن حصوله في كل مكان وزمان ولو في الخفاء وستر غيب القلب والبيت، فلماذا ربطت الآية بين عبادته والأرض الواسعة؟" وإذا قرأ مثل قوله عن فرعون "ءامنتم له قبل أن آذن لكم" لن يخطر بباله استنتاج العلاقة بين الفرعنة وعدم الحرية الدينية، وهكذا، سيغيب عن القرءان بسبب رفضه المسبق لكل ما يمكن أن يزعج سكونه وركوده الحالي. إذا لم تكن منفتحاً لقبول كل تغيير يمكن أن يدلك عليه القرءان فلا تتوقع التنوير من قراءته.

الرابع، الريح المتحركة. القرءان روح والروح مثلها الريح. حين تقرأه فالريح متحركة بإذن الله. مع ملاحظة أن الريح في معانيه لا مبانيه فقط، فاللفظ بدون المعنى نغمة حسنة، والنغمة نافعة للنفس، لكن الحركة بالمعنى. فاللفظ جسم القرءان والمعنى روحه، والحركة بالروح.

الآن نرجع إلى قوله تعالى في السفن (إن يشأ يُسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره)، فهذا مثل قوله في القرءان "لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك". فمن رحمة الله كون القرءان طرفه الأدنى بأيدينا وطرفه الأعلى بيد الله، فاشكر ذلك بالانتفاع به، فلا تضيع المقصد ولا تطوي شراعك ولا تلقي مرساتك. كن واعياً منفتحاً متحرراً، ثم اقرأ وانظر ماذا ترى.

...

اشتغل بما أقامك الله فيه، اشتغل بالقرءان تعلّماً وتعليماً تغنّياً وتأملاً، وسيأتيك الله بما تحتاجه في غير شقاء. اشتغل بغير ما أقامك الله فيه وما أراده منك، واشقى بعد ذلك كما تشاء. هذا كلام عن مشاهدة وتجربة، لا عن دروشة فارغة.

...

(تكملة سورة الصف)

١١-{تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}

بعدما ذكر التجارة المنجية بإذن الله من العذاب الأليم الأخروي بنحو مجمل، بيّن هنا بنحو مفصّل ما هي تلك التجارة. وهي باختصار: الإيمان والجهاد. هذا هو الدين كلّه بشقّه الغيبي والشهادي، الميتافيزقي والطبيعي، العقلي والإرادي، العلمي والعملي، التجريدي والتجسيدي، النفسي والآفاقي، الداخلي والخارجي، الذاتي والملكي. في سطر واحد جمع القرءان كل ذلك.

{تؤمنون..وتجاهدون} عمل وعمل. فالإيمان عمل باطني عقلي، والجهاد عمل ظاهري إرادي. فالتجارة المنجية هي عملك، بالتالي عملك سبب نجاتك، هكذا قضى الله تعالى. فإذا وجدت القوم يكرهون العمل وينفّرون من اعتماده والدعوة إليه فاعلم أنهم قوم كذب وسوء، ولو صدقوا لما وجدتهم يدعونك إلى ترك العمل واعتماده وسيلة واعتباره ذا قيمة فإن دعوتهم لك من العمل أيضاً من جهتين فهو عمل صادر منهم وهم يريدونك أن تعتقد بعقيدتهم الفاسدة تلك والاعتقاد عمل العقل بالتالي دعوك إلى العمل في عين تنفيرك من العمل فأظهر الله كذبهم بنفس قولهم وجعل حجّتهم عليهم منهم فما أعظم وزرهم.

{تؤمنون بالله ورسوله}

الله متعالي، رسوله متجلي وكل تجلي فهو تجلي للمتعالي لذلك هو {رسوله} رسول منسوب إليه أي منسوب إلى الله لكن الله ليس منسوباً إلى شيء غيره وأعلى منه. فأساس {بالله ورسوله} هو العلم بالمتعالي والمتجلي وربط المتجلي بالمتعالي. من عرف هذا المبدأ عقلاً ولو على سبيل المعرفة الكلية المجملة، بعدها يمكن أن يصل إلى {الله ورسوله}. فقوله {بالله} يجمع الحقيقة الواحدة الأحدية المطلقة الجامعة للسمات الكمالية كلها، وقوله {ورسوله} يجمع النفس الجامعة الكلّية المشتملة على جميع الصفات الكمالية والأنوار المجملة والتفصيلية. في الإيمان {بالله} كمال روحك، وفي الإيمان بـ{رسوله} كمال نفسك، لأن "الروح من أمر ربي" ولأن الرسول"رسول من أنفسكم". فتمام سعادة الروح والنفس في الإيمان بالله ورسوله. الله المثل الأعلى للروح، ورسوله الأسوة الحسنة للنفس، كما قال "لله المثل الأعلى" وقال "كان لكم في رسول الله أسوة حسنة".

لكل موجود وجه إلى الوجود ووجه إلى نوعه الخاص، فلأنه موجود فهو تجلي من تجليات نور الوجود الحق الذي هو الله تعالى فبالإيمان بالله يعرف الموجود نور وجوده وكيف وجد وبأي شيء وجد "الله نور السموات والأرض...ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور". ولأنه موجود من نوع خاص من الموجودات فله كمال خاص بنوعه فكمال الفيل ليس مثل كمال إسرافيل وسعادة كل موجود الخاصة به هي بلوغه كمال نوعه الخاص به والله تعالى له تكوين وتخليق فتكوينه دفعة واحدة يجمع فيها الكمالات التي للنوع وتخليقه ظهور تلك الكمالات تدريجياً في شخص شخص من أشخاص النوع لأن الله هو الأعلى فتكوينه من الأعلى "يقول له كن فيكون" ومن هنا لمّا كوّن الله نوع الإنسان بدأ فقال "خلقنا الإنسان في أحسن تقويم." فهذا من حيث الإشارة بيان كماله الأعلى ثم قال "ثم رددناه أسفل سافلين" فهذا في تدرجه في الصعود من الأسفل إلى الأعلى، وعلى ذلك لما بدأ الله نوع الإنسان كوّنه على صورة كاملة هي أقصى ما يمكن أن تبلغه النفوس الإنسانية وهي التي لاشعورياً أو شعورياً تتجّه نحوها حركة عقل وإرادة الإنسان وتمتح منها وتستمد منها شعرت أم لم تشعر فإن كل حركة لابد لها من باعث ومقصد مبني على مقارنة الحالة الواقعة بكمال ما أو بشيء يراد تحصيله وهذا المراد لابد أن يكون في المحصلة كمالاً ذاتياً واستكمالاً نفسياً ما ومدار كل الكمالات التي يسعى لها كل شخص في أي نوع هو المثل الأعلى له الموجود في عالَم الغيب الأعلى عند الله تعالى " لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرّة" "إنا لله وإنا إليه راجعون" "تجدوه عند الله" "ما عندكم ينفد وما عند الله باق"، وهذا الكمال الإنساني هو {رسوله}. بالتالي، جمع قوله تعالى {تؤمنون بالله ورسوله} رؤية الموجود الخاص لنور وجوده الإلهي وكمال وجوده النوعي، وليس وراء ذلك شيء يُطلَب.

{الله} حي قيوم فلا يزول ولا يبطل، كذلك {ورسوله} لابد أن يكون لله رسول في الأرض ما دامت الأرض وعلى هذا الرسول تقوم جماعة المؤمنين في كل عصر، ولو تعدد المرسلين كقوله " فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون". لكن وجود الرسول له درجات، والرسل يتفاضلون، فقد يكون الناس في "فترة من الرسل" لكن ليس من المرسلين وليس الرسل من كل نوع بالضرورة وكذلك قد تكون الفترة في مستوى من الوجود دون غيره أي قد يكون الرسول حياً قائماً مفيضاً جامعاً في مستوى الملكوت وإن لم يكن في مستوى الملك وقد يكون في السماء وإن لم يكن في الأرض، إلا أن الله قال "إني جاعل في الأرض خليفة" فلا يبطل قوله هذا أبداً، فلا يزال لله خليفة يكون مظهر {رسوله} في كل عصر وزمان، ولابد من الإيمان به، ومن آمن بالله حقاً سيفتح الله له ويهديه لنوره الذي هو رسوله وخليفته في كل عصر "يهدي الله لنوره مَن يشاء".

{وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم}

للنفس طاقة هي رزقها في كل يوم، ولهذه الطاقة تمثّلات وتكتّلات بحسب إنفاقها، وللإنفاق قصد ما ولو تعدد وتشتت وتضارب إلا أن كل منفق لطاقته بالضرورة ينفق لقصد ما. فقوله تعالى {وتجاهدون} يدل على وجود الطاقة وإلا فـ"لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها". وقوله {في سبيل الله} يدل على وجود القصد، وهنا يشخّص القرءان القصد المنجي وهو أن يكون الإنفاق في سبيل الله حصراً فتكون الحياة كلها وكل مواضيع الإنفاق تدور في فلك سبيل الله. وقوله {بأموالكم} يدل على تشكّل الطاقة في صورة المال وهو ما تملكه من خارجك بالنسبة للجسم وكذلك يدل على ما تملكه من خارج صميم وعيك بالنسبة للنفس أي أفكارك ومشاعرك وخيالاتك وكلماتك التي تمثّل ذلك كله فهذه أموال النفس كما أن الممتلكات العقارية والنقدية والزراعية ونحو ذلك هي أموال الجسم، وكلاهما داخل في قوله {بأموالكم} فإنه لم يقيّده بمال النفس ولا بمال الحس فدلّ على الجمع بينهما. وقوله {وأنفسكم} يشير إلى الأجسام الحية من حيث أنه ذكرها بعد الأموال ومن حيث أن الجسم هو الذي يُقتَل أما النفس فخالدة حية "لا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء" بالتالي صلب الحقيقة هو أن {أنفسكم} هنا تشير إلى الجسم الحي حين تكون النفس الخالدة فيه ومن هذا الوجه سمّاه {أنفسكم} لغلبة حكم النفس على الجسم والحس من حيث التصرف والظهور والأولوية في الاعتبار والمقصد من وجود الجسم أصلاً للإنسان، فالمعنى هو تسخير الجسم وقواه وحتى العمر والحياة الطبيعية للنفس الخالدة في سبيل الله تعالى. وقدّم ذكر المال على النفس لأن ما يمكن حلّه بالمال ينبغي عدم إجهاد النفس فيه، فإن الشغل الأولى للنفس هو ذكر الله والصلاة والتعقل والنظر في الملكوت وقراءة القرءان ونحو ذلك من الأعمال الباطنية، والجهاد في سياق هذه السورة غرضه

تحرير الناس من الطغيان حتى يكون "الدين كله لله" فإذا زال الطغاة من الأرض واستقرّت الأمور الاجتماعية السياسية على قاعدة الحرية والاختيار لم يعد للجهاد بهذا المعنى مكان فما أمكن حلّه بالمال فليُحَلّ بالمال قبل تعريض النفوس للقتل بل ولا الجهد ومن هنا قالوا في الأمثال الشعبية الذكية "ذل مالك ولا تذل نفسك" فهذا أصله القرءاني.

{ذلكم} أي الإيمان والجهاد.

{خير لكم} لكم وليس لله ولا لغيركم. خير {لكم} أنتم. بالتالي المقصد أنت وسعادة نفسك. والإيمان والجهاد أمران لا إكراه ولا إجبار فيهما ولا عليهما، والأمر كله مبني على اختيارك الحر، فمَن أدخل الإكراه والعنف في الإيمان فهو كافر ودعوته باطلة كفرعون "ءامنتم له قبل أن آذن لكم..لأقطعن..لأصلبنكم"، ومَن أدخل الإكراه والتجنيد الإجباري أو سلب أموال الناس قهراً بدون مشاركتهم في قرار أخذ أموالكم أو تجنيدهم فليس من أهل الجهاد في سبيل الله وليس من أهل هذه الآية. في الإيمان قال "مَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر"، وفي الجهاد قال للنبي "فقاتل في سبيل الله لا تُكلَّف إلا نفسك وحرّض المؤمنين" وفي أخرى "يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال" وهكذا لا يوجد إلا تحريض المؤمنين على القتال وليس إجبارهم على القتال والقرءآن كله متطابق على هذه القضية ولا يوجد استثناء ولذلك لم يأمر الله نبيه بمعاقبة أموال أو أجسام الذين تخلّفوا عنه واقرأ آيات المخلّفين والمنافقين في هذا الباب ولن تجد فيها أي نوع من الإجبار على التجنيد والمقاتلة مع النبي. نمط واحد من الحرية في الإيمان وفي الجهاد في القرءان كله. ما شاع في الأمّة باسم الإيمان والجهاد عموماً لا هو إيمان بل اعتقاد ولا هو جهاد بل حرب دنيوية، إلا ما استُثني. لذلك ستجد نفس أولئك القوم حرّفوا أساس الإيمان من الإيمان {بالله ورسوله} وصاروا يؤمنون بأشياء وقضايا وأشخاص أخر ويجعلون ذلك صلب المذهب وعليه الولاء والبراء، وكذلك حرّفوا أساس الجهاد من {في سبيل الله} إلى حروب توسعية طلباً للدنيا وعرض الحياة الدنيا الذي حذّر الله تعالى منه ونهى المؤمنين عن التخلّق بأخلاق أهله كما كانوا عليه في الجاهلية. فإذا كان {تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم} هو {خير لكم}، فما هو ضدّ ذلك وخلافه هو شرّ لكم وهو كذلك. إيمانهم حفظ صورة عقيدة، وجهادهم طلب أسفل غنيمة، وذلك عين الجاهلية وشرّ لهم لو كانوا يعلمون ويشعرون بل ينظرون حسياً يروا ما هم فيه.

{إن كنتم تعلمون} فالعلم أصل الأصول وأساس الأسس وقاعدة القواعد مطلقاً. هذا الدين والأمر كله إيماناً وجهاداً قائم على العلم. فمن علم سيرى أن الإيمان والجهاد خير له، ومن علم أن ذلك خير له سيطلب الخير لأن طلب الخير فطري للنفس، ولذلك حتى الأشرار والأشقياء

يحسبون أنهم مهتدون للخير وسيصلون إلى الخير والعز والنصر والغلبة دنيا أو أخرى. فالعلم يدل على الخير الحقيقي، والخير يبعث النفس على التمسّك بأسباب تحصيله. وهذا شاهد آخر على ربط الله تعالى بين الأمور في الوجود، أي العلم مربوط بالخير والخير مربوط بوسائل والوسائل تؤدي إلى واقع، فالأمر محكم والأسباب متعلقة بالآثار بحكمة الله تعالى وإحكامه. من أهمّ أسباب الشلل المصابة به أكثر الأمّة هو عقائدها الفاسدة التي جعلتها تنكر هذا الإحكام، فصاروا يعتقدون بأن أي شيء يمكن أن يؤدي إلى أي شيء ولا شيء مبني على شيء والأمر فوضى وقضايا الله تعالى عبث وأهواء لا يعلمون أصلها لأنها في غيب غموض الذات الإلهية ويتحدّثون عن الله والدين وكأن الله لم ينزل قرءاناً ولم يبيّن آيةً كما قال تعالى " نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون". يكفي أن تنظر في هاتين الآيتين لترى الأحكام الإلهية التكوينية والبيانات الربانية القرآنية في أحسن وأسهل صورها. التجارة تنجي، والعلم يكشف الخير، والخير يبعث على الإيمان والجهاد، والإيمان والجهاد أسباب المغفرة ودخول الجنة والفوز والنصر والفتح والبشرى. أما على العقائد الشائعة، فلا شيء ينجي إلا الله وهذه كلمة حق يراد بها باطل، والعلم قد يضلّ الإنسان ولا ينفعه، ومعرفة الخير الحقيقي لا تبعث النفس على شيء بل الأمور كلها بتوفيق الله ولا عمل صالح إلا بتوفيق الله وهذه أيضاً كلمة حق يراد بها باطل، وأما المغفرة والجنّة فكلها برحمة الله وليست بأعمال الناس الظاهرة والباطنة وهذه أيضاً كلمة حق يراد بها باطل. بعبارة أخرى، نسفوا فعل الله لأنهم أرادوا صادقين أم كاذبين التعلّق بذات الله، وكفروا بالإحكام والحكمة اعتقاداً منهم بالذات والقدرة، وجعلوا بعض كلام الله ينكر بعضه وبعضه لا معنى نافع وحقيقي في المحصلة له وبعضه ينقض بعضه وبعضه كلام فارغ يؤدي إلى شبهات بل كفريات عندهم وكان من الأفضل لو لم ينزل أصلاً وعلى العموم الأفضل أن لا تحاول فهم القرءان ولا تقرأه كما هو. استعباد هذه أكثر الأمّة له سبب ظاهري وسبب باطني، وسببه الباطني أكبر وأشدّ. سببه الباطني هم شيوخ الدجل والجدل بالباطل فهؤلاء أغلقوا أبواب القلب وجعلوا أتباعهم ينظرون في القرءان فلا يرون شيئاً هذا إن نظروا أصلاً حتى صاروا مع القرءآن كحال الذين قال الله فيهم مع النبي "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون". سببه الظاهري هم جنود وأمراء الجور والقهر الذين سلبوا الأمّة اختيارها وكرامتها بقوّة السلاح، ولولا الشيوخ لما استطاع الأمراء أن يطغوا إلا قليلاً.

من الإيمان أن تكفر بالعقائد الصورية والإكراهية. ومن الجهاد أن ترفض الحروب الدنيوية. من الإيمان تأسيس الحرية الدينية، ومن الجهاد تأسيس الحرية السياسية. من الإيمان رفض التقليد، ومن الجهاد رفض التقييد.

...
قال: هو انا لو عندي صحاب بنات ده حرام؟
قلت: لا.
قال: وايه الحجة؟
قلت: اية الحجة على العكس؟ كل شيء حلال حتى يثبت أنه حرام. وليس العكس.
قال: معلش اصل انا كنت نايم وردت عليك لما صحيت وكملت نوم فمش مركز معلش. بس فيه ناس كتير بتقول انه حرام، وبيقولوا آية ﴿لا تواعدهون سرا إلا ان تقولوا قولا معروفا﴾ الأية للخطبة اصلا، ملهاش علاقة بالصحبة،. بيقولوا حديث عن عمر بن الخطاب لا تجالس المرأة ولو كنت تدرسها القرآن. وحجج تانية فلما اصحها إن شاء الله هبعتلك حججهم، لأني داخل اكمل نوم. او مش مشكلة خلاص، نشغل دماغنا بمواضيع أهم. هي مش حرام فخلاص.
قلت: الصحبة عموماً ماهي حرام ما هو قصدك من الصحبة؟ هنا سيختلف الأمر بحسب قصدك وظروفك ومجتمعك وأعرافك ونحو ذلك. فاعرف أولاً مالذي تريده بالضبط بالصحبة.
قال: أقصد بالصحبة اننا نكون صحاب، أصدقاء ، مش المعنى الثاني اللى هو السفر. اصحاب بمعني اننا نتكلم على الواتس وما شابهه، او في التليفون أو نخرج سوا (ودي غالبا مبعملهاش اصلا، ولو عملتها بتكون مرة واحدة في السنة او ممكن تكون أكثر من سنة معملهاش). ده اللى أقصده.
قلت: هذا لا شيء فيه. اللهم تأكد من أمرين: أنك ما تدخل في مشاكل مع أهلها، وطبعاً تأكد من أنك ما تعمل شيء يؤدي إلى حملها. غير كدا، صحبة كلام وحكي طبيعي وخرجات علنية ونظيفة فهذا لا شيء فيه والله يحميك.
قال: حاضر.

...
نقلت لي كلاماً لشخص يتحدث عن كون الأموات يسمعون خطاب الحي وذكر خطاب النبي للكفار الذين قُتلوا في بدر وغير ذلك، وسألتني: يعني صح ان الاموات يشعروا ويحسّوا.
فقلت: نعم. في القرءان شاهد ذلك، كما قال بعض الرسل لقومه بعدما هلكوا "لا تحبون الناصحين" وغير ذلك حيث خاطبهم مباشرة. وما ورد في السيرة النبوية مظهر لهذه الآيات القرءانية.

الموت ليس انعدام النفس بل انتقال النفس إلى وجود أعلى وأقوى. لذلك بمجرد ما يموت حتى الكافر فإنه يبقى يتكلّم ويعرف الحق بل ولعله يسمع كلام الله أو الملائكة كما ورد في آية {قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت}. فالنفس حية في عالَم النفس، وإن كان

الجسم مات في عالَم الجسم. والكلام أصلاً هو اتصال ما بين النفوس، وأما الأجسام فوسائل محدودة لهذا الاتصال، ومن هنا يصح الوحي بين الله ورسله والملائكة والأنبياء والوحي إلى أصحاب الرؤى الصادقة حتى لو كان ملكاً كما في قصة يوسف فضلاً عن لو كان رسولاً أو مؤمناً كما في قوله "صدق الله رسوله الرؤيا بالحق". الاعتقاد بأن الحياة والكلام هي مجرّد صفات للجسم هو اعتقاد الكفار الماديين، وهذا النوع من الكفر انتقل للأمّة في القرنين الماضيين على يد الماديين المجسمة من الوهابيين الذين يشيع فيهم إنكار هذا واستبعاده أو وإن أقرّوا به نظرياً فإنهم لا يشعرون به ولا يقومون به ومن هنا قولهم أن زوار القبور هم "عباد القبور" أو "القبوريين" حسب تسميتهم الغبية مثلهم والوحيد الذي يعيش في قبر هو الوهابي الملحد المادي، وأما أهل الإسلام والقرءان من عموم الأمّة فنحن أهل إيمان بالنفس والعالَم الآخر والأعلى والجسم عندنا أقلّ مستويات وجودنا خلافاً للمادي الذي الجسم عنده هو الوجود كله.

ومن هنا مثلاً قوله تعالى عن صالح وثمود {فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين.} فدل هذا على هلاكهم. وبعدها هذه الآية {فتولى عنهم وقال يا قومِ لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين} فدلّ على أنه قال هذا بعدما أخذتهم الرجفة فهلكوا، فكلمهم وهم "أموات" إذن، وخاطبهم خطاب الحي {يا قومِ لقد أبلغتكم..نصحت لكم..لا تحبون}. فإذا كان الكافر الهالك الملعون نفسه حية بعد الموت وتسمع خطاب الحي، فلأن يكون المؤمن والنبي والولي كذلك من باب أولى.

ومما يدل على ذلك قول الله {سلام على نوح} ونحوها من الآيات، فإنه لم يسلّم عليه وهو معدوم لا يتلقى سلاماً، بل في كل مرّة نسلّم نحن على نوح بقراءة {سلام على نوح} فإنه يتلقى ذلك ويردّ على المسلّم لأمر الله بالرد على التحية بمثلها.

وكذلك يدل عليه قول إبراهيم {اجعل لي لسان صدق في الآخرين} فلو كان إبراهيم سينعدم فما فائدة وجود لسان صدق له في الآخرين أو لسان غير صدق أو لا لسان أصلاً، لكن بناء على معرفة أن ما يقوله الأحياء في الأرض عن النفوس عموماً يبلغهم فأراد إبراهيم أن يكون له لسان صدق لذلك حتى يكون جزء من نعيمه وسعادته.

دليل آخر قول الله للنبي {صلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم} وقوله {لا تُصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره} في المنافقين فدلّ على أن الصلاة على الميت شيء والقيام على قبره شيء آخر ودل على أن الصلاة عليه تنفعه إن كان مؤمناً ومسلماً لله وكذلك دل على أن القيام على قبره يصله منه شيء فهو يشعر إذن بمن يقوم على قبره ويأخذ منه شيئاً من المنافع بسبب هذا القيام وإلا لما نهى النبي عن أن يقوم على قبور المنافقين، بالتالي جازت

الصلاة على أموات المسلمين والقيام على قبورهم ونسب الله القبر لصاحب القبر {لا تقم على قبره} فلابد أن له علاقة ما بهذا القبر وبالاتصال بقبره يتم الاتصال به لذلك جمع ما بين الصلاة عليه والقيام على قبره فالصلاة تبلغ نفسه مباشرة غيبياً والقيام على قبره يبلغ نفسه عبر موقع جسمه ومن هنا كل بلاد المسلمين تراعي قبور المسلمين إلا ملاحدة الوهابية المبتدعة لعنهم الله فإنهم أوّل من أنشأ بدعة بل العقيدة الكفرية لإنكار حياة النفوس وانعدام قيمة القبور من هذا الوجه وأقول لعنهم الله لأنهم لم يكتفوا فقط بالاعتقاد الكفري لكنهم أجبروا المسلمين بالقهر والعنف على الخضوع لعقيدتهم كما فعلوه في الحجاز مثلاً وكما يفعلون في مشارق الأرض ومغاربها على يد مجرميهم وكذلك لأنهم استعملوا نعمة الله المالية على دولتهم الآثمة للترويج لكفرهم هذا وجعل ماديتهم السخيفة عين الإسلام وصريح الإيمان.

الحاصل، الكلام بين النفوس هو الأصل، والنفس خالدة، وجعل الله بين نفس الحي في الأرض ونفس الحي ما وراء الأرض اتصالاً بحيث يبلغه ذلك إن شاء الله.

وأمّا إن قال وهابي ملحد: إذا كان بين الحي والميت اتصال فلماذا لا نستطيع أن نسمع أصوات الموتى. فالجواب: أوّلاً أيها الملحد أنت تعتقد بزعمك أن بين الله ورسله اتصال وأن الإنسان يستطيع أن يكلّم الله بالدعاء والصلاة فتعال وأسمعنا كلام الله إن كنت من الصادقين أو اكفر بذلك كله. ثانياً أيها الملحد كثير جداً من المسلمين من النبي وأصحابه إلى يومنا هذا فعلاً يلتقي بمن تسميهم أموات كقول الله عن النبي وموسى "فلا تكن في مرية من لقائه" فدل على التقاء النبي بموسى وغير ذلك مما يعرفه الجميع من حديث المعراج ومخاطبة النبي الأنبياء والصلاة بهم، وكذلك الصحابة الكثر الذين مرّوا على قبور فسمعوا فيها أموراً، وأدلة هذه كثيرة جداً. ثالثاً أيها الملحد الضيّق الأفق ليس كل ما لم تجرّبه بنفسك لكفرك وماديتك وعبادتك شهواتك وسحق كرامتك تحت أرجل طغاتك واتباع العميان من شيوخك فإنه لا وجود له فالوجود والأمر أوسع من تجربتك الضيقة ضيّق الله عليكم أنفاسكم كما ضيّقتم على هذه الأمّة دينها وفتنتوا الكثير منها عن التحقق بروح كتابها.

قال: ولو احتج أحد بآية ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ نردها عليه ازاي؟

قلت: نرد بأن الآية ليست في موضوع المسألة. المقصود هنا أنه لا ينتفع بكلام النبي مَن كان ميت القلب.

قال: أيوة انا عارف المقصود أنه موت القلب، ولكنه شبههم بالموتي وقال لا تسمع الموتى فأليس ذلك معناه أن الموتى لا يسمعون؟ وإلا لماذا نفي عن الرسول أنه لن يستطيع أن يهديهم إلا بعد أن يحي الله قلوبهم. فهو غير قادر على الإسماع حين الموت. صح؟

وفي آية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة "كما يئس الكفار من أصحاب القبور"﴾

دي حجة لهم ولا عليهم؟ أنا فسرتها على أساس أنها عليهم ولكن تفسيري وشرحي الآية لنفسي مش داخل دماغي، عموما: اولا قال بكفرهم، يعني مثلا لو كان أصحاب القبور فعلا مقبورين لا شيء لهم أو عليهم يالمطلق فكان هيكون عادي إن الإنسان ييئس منهم، وكام هيقول "كما يئس الناس" بس اليأس في حد ذاتها مقرون بحقيقة الإنسان عجز إدراكها؟ وتشبيه لهم بالذين ﴿يئسوا من الآخرة﴾ معناه أنهم عملوا شيء غلط بيئسهم من أصحاب القبور وإلا مكنش قرنهم ببعض! وأنا عارف إن ممكن معنى الآية يحمل على أنه إنكار البعث، أو إن الكفار من أصحاب القبور لللى هم الأشخاص اللى ماتوا ومكانهم الآن القبر وهما كفروا يئسوا من تحصيل أي شيء في الآخرة مثل القول الذين غضب الله عليهم.

وكمان قرن الموتى بالصم، الصم لا يسمعون، والموتى لا يسمعون -بناء على الآية في الموضع ده تحديدا- مقالش مثلا "لا تسمع الموتى ولا تسمع العمي" لأن العمي قادرين على السماع، ولكن في حق العمي قال ﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾ لأن الأعمي لا يستطيع أن يهتدي لطريق إلا بمساعدة.

قلت: مدار الآية على معنى الإسماع والهداية. ففي الهداية مثلاً قال "إنك لتهدي" فأثبت أنه يهدي، لكن في أخرى قال "إنك لا تهدي" فنفى أنه يهدي، كيف؟ المعنى يهدي بالبيان لكن لا يهدي بتغيير الأعيان وتغيير واقع النفس الكافرة. كذلك في الإسماع، نفى عنه الإسماع بمعنى إدخال المعنى لقلوبهم وتغييرهم به، لكن من الواضح أن النبي يُسمع بالصوت، والكلام في الآية عن صمم أذن الباطن وليس الجسم بدليل "لهم آذان لا يسمعون بها". كذلك في الموت قال "أومن كان ميتاً..كمن مثله في الظلمات" وقال "لتنذر مَن كان حيا" وقال "إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب" فالمعنى أن الحي هو الذي يذكر ويخشى والميت ضده فليس الكلام عن ميت الجسم بل ميت القلب بالكفر فهذا لا ينتفع بكلام النبي وإنذاره.

...

{ليُظهره على الدين كله} وردت هذه العبارة ثلاث مرّات في القرءان. وليس في واحدة منها أن الإظهار سيكون على الناس، بل {على الدين}. والإظهار هو مثل {ظهر أمر الله وهم كارهون} فلم يكن الإظهار هنا بمعنى إجبار هؤلاء الذين كرهوا أمر الله، بل تبيّن أمر الله وظهوره في

سورة وآيات واضحة تأمر بالقتال أو ظهور تحقق علة القتال ووجوبه ولذلك كانوا يقلّبون له الأمور حتى يمتنعوا عن القتال الذي كرهوه وإن تخلّفوا بعد ذلك.

في آيتين من الثلاثة قال {ولو كره المشركون}، وفي الثالثة قال {وكفى بالله شهيداً}. فدلّ بذلك على معنى الظهور، أي ظهور الإشهاد. ففي اثنتين، دلّ على أن هذا الدين بظاهره وباطنه، بعلومه وبأحكامه، سيظهر حتى يشهده الكل ويعرفونه ويسمعون به سماعاً يكفي لجعله حجّة عليهم إن رفضوه، ولذلك جعل قوله {وكفى بالله شهيداً} خاتمة في إحداها حتى لا يظن ظان أن إظهار الدين المقصود منه حتى يشهده الله تعالى بل المقصود بل حتى يشهده الناس ومع ذلك {كفى بالله شهيداً} على حقانية هذا الدين وإن أنكره الناس وكرهوه بعد ظهوره.

في أزمنة وأمكنة الطغيان، يسعى الطغاة إلى جعل دينهم المرضي عندهم هو الظاهر، وباقي الأديان مقموعة مستورة أو معدومة إن استطاعوا. فهم يريدون إظهار دينهم وقمع وإخفاء ومنع ظهور غير دينهم. ويستعملون لذلك القوة المسلحة والقوة الناطقة، أي إما السلاح وإما الكلام. ومن هنا مثلاً "لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا" فهذه في القمع بالسلاح، ومثلاً "لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون" فهذه في القمع بالكلام. لذلك جاءت الوعد بإظهار الدين في مرّتين بعبارة {ولو كره المشركون} حتى يدلّ على أنه لن يظهر دين على دين الإسلام لا بالسلاح ولا بالكلام، فلمنع قمعه بالسلاح أمر بالقتال في سبيله، ولمنع قمعه بالكلام أوجب ترك الناس يتكلّمون والدعوة بحرية وقال "كلمة الله هي العليا" وذلك في الحقيقة وإن اعتقد الناس بأن هذه الكلمة ليست كلمة الله أصلاً أو أن كلمتهم هم العليا فإن ذلك سيتبين للجميع يوم القيامة. يظهر الإسلام للعقول وإن كرهت الأهواء وذلك فيمن استمع لحجج دعاته بالحق، ويظهر الإسلام في الأرض لجميع الناس حين تتحقق الحرية الدينية والكلامية ويبعث الله بالحق دعاته.

قال {ليظهره على الدين} وليس على "الأديان"، لأن الدين في المحصلة إما دين يؤدي إلى الجنّة فهو دين الله وإما دين يؤدي إلى النار فهو دين واحد من حيث نتيجته وعاقبته. "من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" الله لن يقبله منه وهو في الآخرة من الخاسرين، فهذا كلام عن الله والآخرة وليس عن الناس في الدنيا حيث كل دين لصاحبه أن يشاء الإيمان به والدعوة إليه والمجادلة عنه بسلام وأمان.

الدين له ثلاث ظهورات، لذلك جاء الآية {ليظهره} ثلاث مرّات. له ظهور جسماني، وظهور نفساني، وظهور روحاني. فظهوره الجسماني بخروج المؤمنين به من كهف التقية والستر إلى العلانية بأشخاصهم وعلامتهم المميزة لهم وأقوالهم وأفعالهم الشعائرية. وظهوره النفساني

بتعقله ومعرفة حججه والتخلق بأخلاقه. وظهوره الروحاني بشهود رضا الله عنك فيه واتصالك به وسماعك كلامه منه. هذا تأويل. وتأويل آخر، أن للدين ظهور في الدنيا بالدعوة وظهور في الآخرة بالنصرة وظهور عند الله بالوجاهة.

...

قال: كنت حابب اسالكم عن قضية زواج الرسول صلى الله عليه واله وسلم بعائشة رضي الله ونقطة صغر عمرها وكذا.

أقول: ١-يوجد اختلاف بين المسلمين في تحديد عمرها، واختلفوا ما بين ٩ سنوات إلى حدود ٢٠ سنة تقريباً، وإن كان الأكثر على أنها كانت في ٩ أو ما فوق ذلك بقليل. قرآنياً، لا يوجد دليل على ذلك بالضبط. فالأمر بحث تاريخي بحت.

٢-بغض النظر عن تحديد العمر بالضبط، فكان ما كان العمر ولو ٩، فإن النبي تزوج عائشة بإذنها وإذن والديها، والمعترف به عند الكل أنه لم يدخل بها إلا وهي تطيق النكاح، والنبي لم يكن يغتصب ولا حتى "الجارية" المسبية من الحرب المشروعة العادلة، إذن نكاحه عائشة كان طوعي من جميع الجهات.

٣-عائشة نفسها لما كبرت، لم تشتكي يوماً من أنها أُجبرت على الزواج أو كانت كارهة له. بل ظلت إلى آخر عمرها تنعم بسلطة ووجاهة كونها زوجة النبي، وروت عنه آلاف الأحاديث ونشرت أصول مهمة في فهم القرءان، بل وبلغ من سلطتها أنها واجهت علي بن أبي طالب نفسه في إمارته للمسلمين. ومهما قيل عن عائشة، فلا أحد يستطيع إنكار أن لسانها كان لا يعرف حدّاً، حتى إنها كانت تتكلّم ضدّ عثمان بن عفان جهاراً نهاراً وتحرّض عليه وهو الأمير الذي جيوشه تغزو إفريقية وغيرها من بلاد الأرض، وكانت تعترض حتى على النبي إن قال شيئاً أو فعل شيئاً لا تحبّه ولا تقبله حتى يشرحه لها ويفسّر وكانت تعمل أموراً كثيرة مشهورة عنها في هذا الباب، بالتالي لا في حياة النبي ولا بعده حتى توفيت كانت تمسك لسانها عن ما تعتقد أنه ضد ما تعقله وتريده، إذن لو كانت وجدت أي أذية أو كراهة لنكاح النبي لها لأعلنت ذلك ولما حكته وهي مرتاحة له رافضة له. فالذين يتحدّثون بالنيابة عن عائشة اليوم بزعمهم ويطعنون في النبي بسبب زواجه منها، لو كانت عائشة نفسها عايشة اليوم لكانت أول من يلعنهم بل لعلها تقود إليهم جملاً جديداً.

٤-أبو بكر صاحب النبي ولم يعترض وهو والد عائشة، عائشة لم تعترض وهي صاحبة الشأن، المجتمع حينها ولا حتى كفار قريش اعترضوا على نكاحه عائشة بسبب "صغر

سنها". فإذا كان لا الوالد ولا البنت ولا المجتمع بحسب معاييره في ذلك الزمان والمكان اعترض، فبأي حق يعترض أي إنسان اليوم.

٥-إن قيل: نحن نعترض اليوم حتى نمنع زواج الصغار. قلنا: مَن أراد أن يمنع اليوم بحسب معايير زمانه ومكانه فليفعل، لكن لا يحق له أخلاقياً الاعتراض على عمل ومعايير قوم في تلك الأزمنة الماضية. بل حتى جدّاتنا في هذا الزمان كن يتزوجن وهن "قاصرات"، وهذا تجده في الشرق والغرب. بل في القرن الماضي، كان سن النكاح حتى في أمريكا في كثير من الولايات هو ١٠ سنوات أو قريب منها. في تلك الأزمنة القديمة والأمكنة الحارة والصعبة كان الزواج عموماً ليس عملية تحتاج إلى ما تحتاجه اليوم، وصعوبة العيش حينها وكثرة القتل والموت لأسباب كثيرة تجعل الناس يبلغون بنحو أسرع ويهرمون أسرع وأشدّ وتستطيع رؤية ذلك حتى في هذا العصر حين تقارن شكل وصورة أجدادنا بصورة أمثالهم في العمر من أهل عصرنا عموماً فإن نوعية الأكل والجو والراحة وغير ذلك تؤثر في الجسم، فلهذا كان زواج الصغار في العمر عموماً بحسب معاييرنا اليوم ليس أمراً مستنكراً عموماً في تلك الأزمنة لا في المسلمين ولا في غيرهم مع اختلاف طبعاً في تحديد العمر المناسب بالضبط.

٦-البلوغ إما أن يتحدد كمّياً وإما أن يتحدد كيفياً. والمعيار الكيفي هو الأدق والأكثر واقعية. مثلاً، مَن هو البالغ من الذكور؟ لأسباب قانونية إجرائية ولتوحيد القواعد العملية قد نقول ١٨ سنة، لكن هذا لا يعني شيئاً واقعياً فإنه قد يوجد شخص عمره ١٥ سنة وهو عبقري ناضج منضبط وقد يوجد شخص عمره ٥٠ سنة وهو في ذهنه طفل معقد مريض وأبله لا يحسن حتى تنظيف جسمه. فالكلام عن العمر "الصغير" و "الكبير" لابد من تحديد هل المقصود به المعيار الكمّي (يعني كم سنة بالعدد) أو المعيار الكيفي (كنمط الجسم والعقل). النظر الطبيعي يعطي أن المعيار الكيفي هو الأنسب والأكثر واقعية. مثلاً، بالنسبة للغريزة الجنسية، وحسب كلام عالم النفس فرويد مثلاً وهو ملحد لا علاقة له بالدين، يقول أن الجنس موجود حتى في الأطفال كغريزة في عمق العقل. هذا أمر. أمر آخر، بالنسبة للعقل والإرادة، لا خلاف أن النبي ولا المسلمين لم يقرّوا نكاح امرأة لا يحتمل جسمها النكاح، وكذلك لم يقرّوا أن النبي نكح عائشة ولا من حيث المبدأ نكح امرأة غصباً وكرهاً بل والأمر بالرضا والإذن وهذا دليل وجود العقل والإرادة. وبالنسبة للجسم، فإن علامة البلوغ هي الحيض للأنثى والاحتلام للذكر، هذه العلامة الطبيعية المادية، ولا يهم رقم العمر كم فالطبيعة لا تعرف اختراعاتنا القانونية والتنظيمية، بالتالي إذا حاضت الأنثى واحتلم الذكر فقد تطور فيه جهاز العمل الجنسي، فلا اعتراض من هذه الناحية إن أراد تفعيل هذا الجهاز، كما أن الإنسان إذا تطور لديه جهاز عصبي أو عضوي آخر يحق له تفعيله ولا يحق لأحد من حيث المبدأ منعه من تفعيله

كما لا يحق لأحد خنقه إن صارت رئته تعمل أو عينه تبصر أو لسانه ينطق، كذلك لا يحق لأحد أن يمنعه إن صار جهازه الجنسي يعمل، أقصد من حيث المبدأ وليس من حيث موضوع تفعيل الجهاز وشروط ذلك الثانوية. فمن حيث المبدأ الطبيعي، نكح النبي عائشة وهي بالغ، فلا شيء يضاد الطبيعة من هذه الزاوية. الآن، إذا جمعنا هذه الثلاثة، أي الجانب الغريزي النفساني والجانب العقلي الإرادي والجانب الجسماني الطبيعي، فسنجد أن عمل النبي لا شيء فيه مع عائشة أيا كان عمرها. فإن الغريزة موجودة، والإذن والرضا منها ومن والديها ومجتمعها موجود، والاستعداد الجسماني موجود. فعلى ذلك انتهى الأمر، من الناحية الكيفية.

أما من الناحية الكمّية، فالقضية نسبية. لنأخذ أمريكا على سبيل المثال. في بعض الولايات السن الذي يجوز فيه للأنثى الجماع هو ١٦ وبعضها ١٧ وبعضها ١٨، هذا اليوم. لكن فقط قبل قرن ونصف، في ١٨٨٠م، كان سنّ الرضا بالجماع ما بين ١٠-١٢ سنة. نعم، سن الزواج قبل فقط ١٤٠ سنة في أمريكا حده الأدنى ١٠ سنوات يعني تقريباً مثل سن عائشة، هذا مع العلم أن النبي تزوج عائشة ليس قبل ١٤٠ سنة لكن قبل ١٤٤٠ سنة تقريباً، بل خذ هذه، في ولاية ديلاوير تحديداً كان سن الرضا بالجماع ليس ١٨ ولا ١٦ ولا ١٠ بل كان ٧ سنوات ! تأمل هذا جيداً. وعلى هذا النمط، إذا نظرت في الحاضر وفي الماضي القريب، فضلاً عن البعيد، وفي مختلف أنحاء العالَم ستجد اختلافاً شديداً في العمر الأقلّ للنكاح أو الجماع القانوني.

بناء على ما النظر الكيفي والكمّي، فلا يمكن الحكم جزماً على قانون وعرف أي بلد من هذا الجانب، وبالأخصّ لا يمكن الحكم على نكاح النبي عائشة قبل أربعة عشر قرناً في الصحراء العربية القاسية. فأقصى ما يقال، هو أن كل مجتمع سيكون له قانونه، وبالنسبة لهم سيحكمون به وينبغي عليهم عدم تجاوز ذلك. هذا طبعاً مع حفظ مبدأ الرضا والاختيار ومبدأ الاستعداد الجسماني أيضاً، وإلا صار عدواناً على النفس وعلى الجسم وهو أمر قبيح في كل العصور، لأن عدم الرضا عدوان على النفس والحقيقة، وعدم الاستعداد الجسماني عدوان على الحس والطبيعة.

....انتهى والحمد لله.